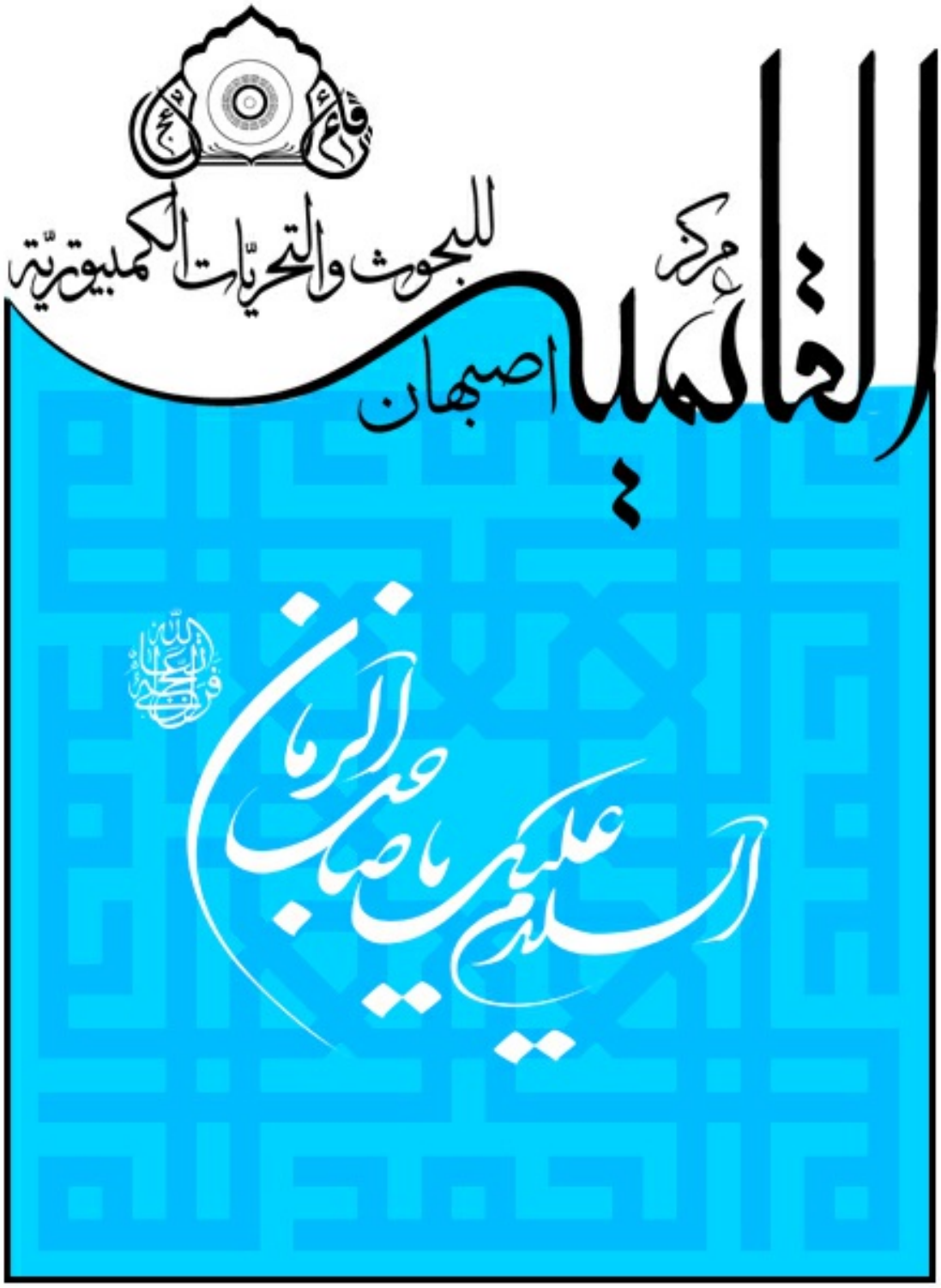

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أشراط الساعة وأسرارها

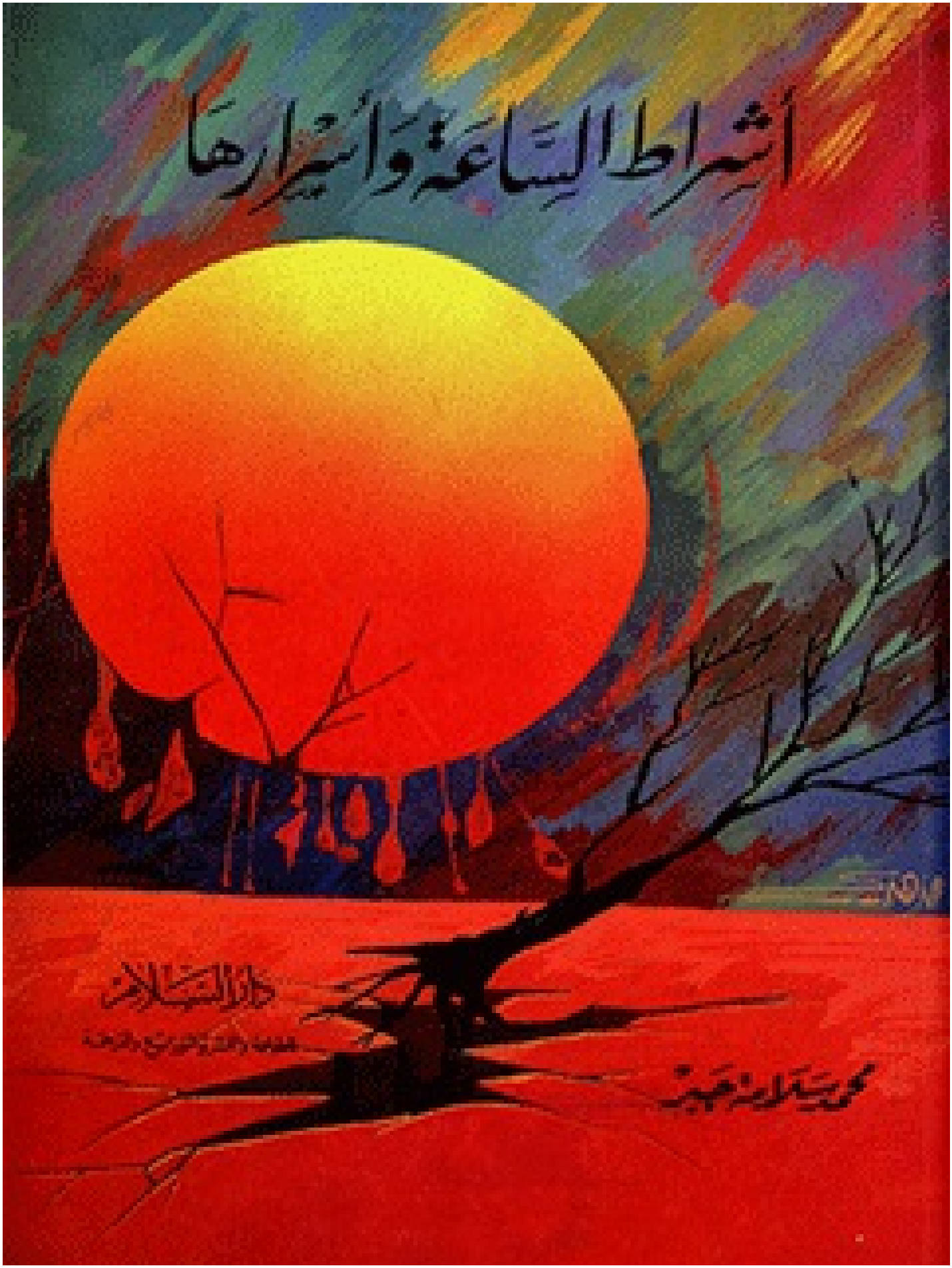

دار السلام

محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحیم

أشراط الساعة و اسرارها

كاتب:

محمد سلامة جبر

نشرت في الطباعة:

دار السلام

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

أشراط السَّاعَة وَاسرارهَا 8

اشارة 8

اشارة 8

الإهداء 10

مقدمة الطبعة الأولى 12

مقدمة الطبعة الثانية 14

الباب الأول 16

الفصل الأول: ما جاء في قرب قيام الساعة 16

الفصل الثاني: ذكر ما جاء في قرب قيام الساعة 20

الباب الثاني 27

أشراط الساعة الكبرى 27

تمهيد 27

الفصل الأول: ما جاء في ظهور المهدي 28

الفصل الثاني: المسيح الدجال « الدجال شر غائب ينتظر » ما جاء في الدجال 32

الفصل الثالث: هل الدجال حي .... ؟ 42

اشارة 42

ما جاء في « ابن صياد » وهل هو الدجال ؟ 46

صفة والدي الدجال 52

رأي الخطابي 53

رأي القرطبي 55

رأي البيهقي 56

رأي النووي 59

باب ذكر ابن صياد 59
رأي ابن بطال 60
رأي ابن حجر 63
رأي الشوكاني 65
أبو نعيم الأصبهاني 66
نعيم بن حماد 67
أقول والله المستعان 72
الفصل الرابع: نزول عيسى عليه السلام 74
اشارة 74
نزول عيسى عليه السلام 74
عيسى حي بجسده عليه السلام 74
ما جاء في نزول عيسى عليه السلام 76
صفة عيسى عليه السلام 84
مدته ومكان دفنه عليه السلام 86
الفصل الخامس: يأجوج ومأجوج 88
اشارة 88
خروج يأجوج ومأجوج 88
من ذو القرنين ؟ ويأجوج ومأجوج ؟ 92
هل فتح السد ؟ وهل خرج يأجوج ومأجوج ؟ 96
رأي الاستاذ سيد قطب رحمه الله 97
الفصل السادس: طلوع الشمس من المغرب 100
اشارة 100
طلوع الشمس من المغرب وأثر ذلك 100
الفصل السابع: الدابة 104
الفصل الثامن: الريح الطيبة 108

الفصل التاسع: آية النار-وتقارب الزمان ـ 111
اشارة ـ 111
تقارب الزمان ـ 113
الخسوفات الثلاثة ـ 114
النفخ في الصور ـ 115
الباب الثالث ـ 118
اشارة ـ 118
قرب قيام الساعة ـ 118
متى الساعة ؟ ـ 119
ما المراد بعمر الدنيا ـ 124
الباب الرابع ـ 132
من أسرار أشراط الساعة تمهيد الرمزية في الوجود ـ 132
الفصل الأول: الإنسان عالم صغير ـ 136
اشارة ـ 136
« الإنسان عالم صغير » ـ 136
الإنسان روح الوجود ـ 136
الفصل الثاني: أسرار الأشراط الكبرى ـ 140
اشارة ـ 140
سر نزول عيسى عليه السلام ـ 141
سر الدجال ـ 142
سر طلوع الشمس من مغربها ـ 143
سر الدابة ـ 144
للمؤلف ـ 147
فهرس الموضوعات ـ 149
تعريف مركز ـ 154

أشِراط السَّاعَة وَاسرارهَا

اشارة

أشِراط السَّاعَة وَاسرارهَا

محمد سَلَامة جَبر

دَارُالسَّلامِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

خيراندیش دیجیتالی : انجمن مددکاری امام زمان (عج) اصفهان

ص: 1

اشارة

كَافةُ حُقُوق الطّبع وَالنّشروَالتَرجَمَة مَحفُوظَة لِلنَّاشِر

دَارالسَّلَام للطَباعَةِ وَالنَّشرِوَالتَّوزيعُ

120 شارع الأزهرت 932820-2631578

ص.ب 191 الغورية فاكس 2621750

الطبعة الأولى 1413ه- 1993م

ص: 2

الإهداء

إلى إخوة لي في الله ...

أحبهم في الله ...

وأتقرب بحبهم إلى الله ...

**

إلى المهاجرين في سبيل الله ...

الفارين بدينهم إلى الله ...

من بطش أعداء الله ...

***

إلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه...

فمنهم من قضى نحبه...

ومنهم من ينتظر...

وما بَدَّلُوا تبديلا ...

أهدي هذا الكتاب ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،وعلى آله وصحبه ،ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذه رسالة في أشـراط الساعة ،التزمت فيها بما جاء عن رسول الله صـلى الله عليه وآله ، بالسـند الصـحيح أو الحسن ، مع بيان أقوال أئمتنا الأعلام بإيجاز غير مخل إن شاء الله،حتى يتيسرعلى عامة المسلمين تناولها وفهمها ، فإن العلم بأشراط الساعة من العقائد الإسلامية ، التي ينبغي معرفتها والإيمان بها ،وخصوصا وقـد كثر في هذا الزمن منكروها،وردوا ما جاء فيها من الأحاديث أو تأولوها ، جرأة على الله ورسوله ،بغير علم ولا هدى ولاكتاب منير،اللهم إلا اتباع الظن وما تهوى الأنفس .

وحجـة بعض هؤلاء المنكرين،أن ما جاء في أشـراط الساعـة من أحاديث لا تعدوكونها أحاديث آحاد ، وحديث الآحاد عندهم ليس حجة في الاعتقاد ،لأنه ليس قطعي الثبوت ـ بزعمهم –.

وحجتهم والحمد لله داحضة ،ودليلهم زائف .

فـالزم بـأن حـديث الآحـاد لاـ يوجب العلم ،يرده أن رسل رسول الله صـلى الله عليه وآله إلى الأمصاركانوا آحادا ولم يبلغوا شـرط التواتر قـط،مع أنهم كـانوا مكلفين بتبليغ رسالـة رسول الله الله ،وأولها عقيـدة التوحيـد ،فهل طعن واحـد ممن أرسل إليهم بحـديث الآحاد،أم أن أصحاب الأهواء تنبهوا إلى ما غاب علمه عن الناس أجمعين ؟!

وهذا إذا سلمنا أن ما جاء في أشراط الساعة يعتبر من أحاديث الآحاد ،

ولكن الحقيقة أنها بَلَغَت درجة التواتر الحقيقي أو المعنوي وتلقتها الأمة بالقبول والتسليم، وأعني بالأمة علماءها من أهل السنة ، وهم الحجة في نقد الأسانيد أو اعتبارها،فسقط والحمد لله دليلهم ، وخاب عند بيان الحق ظَنَهم ، وظهر الحق عند أهل الحق،وخسر هنالك المبطلون ، والحمد لله رب العالمين .

وإذا أحب المسلم أن يلقي الله سليم القلب من الأهواء والبدع وأن ينجو يوم العرض من العذاب والفزع ، فَليَلزَم مذهبَ سلفِ هذه الأمة الصالح،وليعتزل تلك الفرق الضالة كلها ،ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

وقد جاء في الحديث : « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا،فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضوا عليها بالنواجذ،وإياكم ومُحدَثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »(رواه أبو داودوالترمذي وقال حسن صحيح).

ونسأل الله الثبات على الحق والعزيمة في الرشد، واتباع سنة المصطفى صلى الله عليه واله .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمـد لله الـذي شـرح صدورنا للإيمان ،وهدانا بنوره إلى كمال الإيقان ،وتفضل علينا بالعافية والإحسان ، فعلمنا ما لم نكن نعلم ،وهدانا بنعمة الإسلام إلى الطريق الأقوم،فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبً ا مباركًا فيه ،كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده ،شـهادةَ مَن يرى أنه لا حول ولا قوة إلا بالله،ويوقن بأن الخير والشر بيد الله ،فلا ضار ولا نافع ،ولا هادي ولا مُضِلَّ إلا الله .

«وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(1)

وكل ذلك على الحق والحقيقة ،لا تبديل فيه ولا تأويل ، فسبحان أحكم الحاكمين .

«لَا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»(2).

وأصـلي وأسـلم على خير خلق الله أجمعين ،الـذي أوتي جوامع الكلم ،وعُلِّمَ عِلمَ الأولين والآخرين ، صاحب المقام المحمود،والحَوض العَـذبِ المورود ،الـذي بعثه الله رحمـة للعـالمين ، وإمامـا للمرسـلين ، وشافعـا للنـاس أجمعين ، فجزاه الله عنـا خير مـا جزى نبيـا عن قومه،ورسولا عن أمته .

وبعد :

فحينما أخرجت الطبعة الأولى من كتابي (أشراط الساعة وأسرارها)استصعب على كثير من الناس أن يصدقوا أننا في «نهاية النهاية »من عمر هذا

1- الأنعام : 39 .

2- الأنبياء : 23 .

الكون ، وأن بعثة نبينا محمد صلى الله عليه واله كانت « بداية النهاية»لأن الإنسان مجبول على طول الأمل ، وبعد الأجل ، فليس من اليسير عليه أن يصدق أن آخرتنا قادمة على عجل .

والحق الـذي لا مراء فيه،أن كافـة الآيات الكونيـة ،والأدلـة اليقينيـة ،تؤكـد صـدق ما انتهيت إليه في هـذا الكتاب ، من اقتراب يوم النهاية ثم الحساب .

فمن صدق ، فبالحق صَدَّقَ إن شاء الله ،ومن أبي ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَاهَا،فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ،إِنّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا عَشِيّةً أَوْ ضُحَاهَا»(1).

وقد ادعى بعض المتجرئين على كتاب الله تعالى،أن الساعة سـتقوم سنة تسع وسبعمائة وألف بعد الهجرة ، وزعم أن هذا السر الذي لم يتنبه إليه أحـدغيره ،مكنون في الحروف التي في أوائل السور القرآنيـة ،وسـيجد القارئ « إن شاء الله »ردي على هذا الزعم الباطل ،في نهاية هذا الكتاب ، والله الموفق .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

1- النازعات : 42 - 46 .

الباب الأول

الفصل الأول: ما جاء في قرب قيام الساعة

قال تعالى :«فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا»(1)

ومعنى (أشراطها) أي علاماتها المؤذنة بقرب قيامها .

ومن رحمة الله بعباده أن جعل لهم لدنوأجلهم علامات وأقام لقرب ساعاتهم آيات ،لعلهم إلى ربهم يرجعون ،وللتوبة الصادقة يحدثون ،وفي طاعة مولاهم يجتهدون .

وقد كانت أولى الآيات المؤذنة بقرب قيام الساعة،بعثة نبينا محمد صلى الله عليه واله وهذا بنص قوله الصحيح :« بُعثت أنا والساعة هكذا»وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

وعن خالد بن عمير رضي الله عنه قال :

«خطبنا رسول الله صلى الله عليه واله، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:«أما بعد:فإن الدنيا قدآذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها »(2).

ومعنى الحديث أن الدنيا قد آذنتنا بالقطيعة ،وولت مدبرة ولم يبق منهاإلا بقية قليلة كما يبقى من الشراب في آخر الإناء .

1- محمد : 18 .

2- أخرجه أحمد وابن جرير بسند صحيح .

وهذا مبالغة في قرب يوم القيامة ،وانتهاء أيام الدنيا ،وقد مضى على ذلك أربعة عشرقرنا تتابعت فيها الأشراط الصغرى كلها ،وكان آخرها، ما نراه في أيامنا هذه ،من تطاول الناس في البنيان ،وكانوا من قبل حفاة عراة رعاء الشاة ،كما قال رسول الله صلى الله عليه واله فيما أخرجه مسلم وسيأتي نصه إن شاء الله.

ومن علامات الساعة التي ظهرت أيام رسول الله صلى الله عليه واله وهو في مكة:(انشقاق القمر)وهذا كما قال تعالى :

«اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقّ الْقَمَرُ ،وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ»(1)

وقد جاء في انشقاق القمر ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه«أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه واله أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما »وأخرج البيهقي وابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند صحيح قال :

«انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه واله، فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كَبشَةَ ، قال : فقالوا : انظروا ما يأتي به السفار – أي المسافرون – فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، وقال : فجاء السفار،فقالوا :ذلك »يعني شهدوا بانشقاقه .

قال ابن كثير:وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه واله ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات .انتهى .

قلت:وسأورد إن شاء الله تعالى ما جاء في أشراط الساعة الصغرى من أحاديث،وسنرى أنها قد وقعت كلها ، إلا ما يتخلل الآيات الكبرى من

1- القمر

احداث ، يظن أنها من العلامات الصغرى وليست منها ،وهذا كما في قوله صلى الله عليه واله فيا رواه البخاري ومسلم .

« إن من أشـراط الساعة أن يرفع العلم ،ويظهر الجهل،ويشـرب الخمرويفشو الزنا،ويقل الرجال ، ويكثر النساء ،حتى يكون الخمسين امرأة قيم واحد » .

فهذه العلامات التي ذكرت في الحديث وقعت كلها ،وهي من الأشـراط الصـغرى إلا زيادة عدد النساء عن عدد الرجال حتى تكون النسـبة تساوي رجلا واحـدا مقابل خمسـين امرأة،وهذا والله أعلم ما يتخلل العلامات الكبرى ،ولا يكون إلا بعد حرب عالمية مدمرة تقضـي على الحضارة ، وتقتل الرجال ، وتسـتحي النساء ، لذلك تؤتي النساء في ذلك الزمن على قارعة الطريق، ونسأل الله العافية من تلك الفتن كلها ، ونسأله إذا أراد بقوم فتنة أن يقبضنا إليه غير مفتونين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

***

الفصل الثاني: ذكر ما جاء في قرب قيام الساعة

سأقتصر في هذا الفصل إن شاء الله على ذكر الأحاديث الصحيحة الواردة في قرب قيام الساعة ،وأشراطها الصغرى ، والاكتفاء بشرح الغريب،دون التوسع في ذلك ، فأقول والله المستعان :

1- أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه واله: « بعثت أنا والساعة كهاتين »ويشير بإصبعيه فيمدهما .

2- وأخرجه الإمام أحمد عن بريدة بلفظ :

« بعثت أنا والساعة ، إن كادت لتسبقني ».وسنده حسن .

3- ومن حديث المستورد بن شداد بلفظ :

«بعثت في نفس الساعة ، سبقتها كما سبقت هذه لهذه »لإصبعيه السبابةوالوسطى. أخرجه الترمذي ،وقوله في نفس الساعة أي عند تنفسها ،وهذا كناية عن القرب ،كما يحس الإنسان بنفس الآخر إذا اقترب منه .

4- وأخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله:

«ما أجلكم في أجل من كان قبلكم ، إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » .

5-وروى من طريق مجاهد عن ابن عمر بلفظ:

«كنا عند النبي صلى الله عليه واله والشمس على (قعيقعان) مرتفعة بعد العصرفقال:«ما أعماركم في أعمار من مضى إلا ما بقي من هذا النهار فيما مضى

منه» أحمد بسند حسن .

(وقُعَيقِعان)جبل بمكة والمراد اقتراب قيام الساعة كما اقترب غروب الشمس .

6- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله«والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم،وتجتلدوا بأسيافكم،ويرث دنياكم شراركم»أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح .

قلت وقد وقع كل ذلك ،فقتل عثمان رضي الله عنه ،وكانت بعد ذلك الفتنة ، ونسأل الله العافية .

7- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان من المسلمين،فيكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة »متفق عليه.وقد وقع ذلك في معركة صفين .

8- وعنه ، أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

«لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرجُ ،قالوا : وما الهَرجُ يارسول الله ؟ قال : القتل ، القتل »مسلم.

9-عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

«يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم،يصبح الرجل مؤمنا ،ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع أقوام دينَهم بِعَرَضٍ من الدنيا»الترمذي وقال حسن صحيح .

10-عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :«لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » الترمذي بسند حسن . ولكع بن لكع يعني اللئيم .

11 –عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال عند قرب وفاته :

« ألا أحدثكم حديثا عن رسول الله صلى الله عليه واله لا يحدثكم به أحد عنه بعدي ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول :

« إن من أشـراط الساعـة أن يرفع العلم،ويظهر الجهل،ويشـرب الخمر،ويفشو الزنا،ويقل الرجال ويكثر النساء ،حتى يكون الخمسـين امرأة القيم الواحد »متفق عليه .

12 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز،تضيء أعناق الإبل بِبُصرى » متفق عليه.

قال ابن حجر : قال القرطبي في « التَّذكِرة »

«قـد خرجت نار بالحجاز بالمدينـة،وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء وبعد العتمة ، الثالث من جمادي الآخرة سـنة أربع وخمسـين وستمائة (654 ه) واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة ».

وقال النوري:« تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام »انتهى – فتح الباري ج 13 ص 79 باب خروج النار .

13 – عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال :أتيت النبي صلى الله عليه واله فقال :

«اعـدد سـتا بين يدي الساعة:موتي،ثم فتح بيت المقدس،ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم اسـتفاضة المال ،حتى يعطى الرجل مائة دينـار فيظـل ساخطـا ،ثم فتنـة لاـ يبقى بيت من العرب إلاـ دخلته ، ثم هدنـة بينكم وبين بني الأصـفر فيغـدرون ،فيـأتونكم تحت ثمـانين غاية،تحت كل غاية اثنا عشر ألفا » البخاري .

وقوله صلى الله عليه واله:« موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم »أي ينتشر فيكم داء يكثر موتكم بسببه ، ولعله الطاعون الذي انتشر بالشام أيام عمر رضي الله عنه ومات فيه أبو عبيدة رضي الله عنه وكثير من المسلمين .

أما غدر بني الأصفر فهم الروم فيأتون تحت ثمانين غاية أي راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفا يعني قريبا من مليون ، ولعل ذلك ما حدث في تحالف الغرب على هدم الخلافة الإسلامية في الحرب العالمية الأولى والله أعلم .

14 –عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

«إن أمام الدجال سنون خداعات، يكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين ،ويؤتمن فيها الخائن ،ويتكلم فيها الرويبضة »أحمد وأبو يعلي والبزار وسنده جيد ، ومثله لابن ماجة من حديث أبي هريرة وفيه :

«قيل وما الرويبضة ؟ « قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة »يعني في مصالح الناس وشؤونهم كما نرى من معظم كتاب الصحف والخطباء .

15 –عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ،دعوتهما واحدة، وحتي يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ،وحتي يُقبضَ العلمُ ، وتكثُر الزلازلُ ،ويتقاربَ الزمانُ،وتظهَر الفتنُ،ويكثر الهَرجُ وهو القتل،وحتي يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقتة ،وحتي يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أب لي به ، وحتي يتطاول الناس في البنيان ،وحتي يمر الرجل بقبرالرجل فيقول:ياليتني مكانه ،وحتى تطلع الشمس من مغربها،فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون،فذلك حين لا ينفع نفسا

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرا »متفق عليه واللفظ للبخاري وأخرجه مسلم مفرقا .

قلت :وقد وقع كل ما جاء في هذا الحديث مما يعتبر من العلامات الصغرى للساعة،أما العلامات الكبرى كطلوع الشمس من المغرب وتقارب الزمان ، فذلك يكون في نهاية النهاية ، بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ،وإهلاك الله لهم ببركة دعاء عيسى ومن معه.

أما ما جاء في الحديث من العلامات الصغرى فقد وقع جميعها والله أعلم ،وأول ذلك ، بدء ظهور الكذابين مدعي النبوة قبل وفاته صلى الله عليه واله، وأولهم وأخطرهم شأنا كان مسيلمة الكذاب ، الذي قتله الله في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه،في معركة اليامة بقيادة سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه .

وأما الفئتان العظيمتان اللتان اقتتلتا ،فقد تحقق ذلك زمن الفتنة الكبرى بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه،فوقع الخلاف بين الصحابة-رضوان الله عليهم-عن اجتهاد منهم فكانت معركة الجمل،ومعركة صِفِّين،ثم استشهد أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين المهديين الإمام على كرم الله وجهه ،قتله شقي الدارين (ابن ملجم)ووقع الأمر كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه واله حيث قال لعلي :

« يقتلك شقي الدارين »وانتهى الأمر بتنازل الإمام الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان سنة أربعين من الهجرة فاجتمع الناس على معاوية بفضل حكمة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه واله أيضا بذلك حين نظر إلى الحسن وقال :

«إن ابني هذا سيد ، وإني لأرجو أن يجمع الله به بين فئتين عظمتين من المسلمين »وقد كان والحمد لله رب العالمين .

أما قوله صلى الله عليه واله:«ويقبض العلم»فيفسره ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول:«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء،حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا-يعني ناسا يدعون العلم-فسئلوا ، فأفتوا بغير علم،فضلوا وأضلوا » .

وهذا الحديث صريح في أن المراد بالعلم الذي يقبض هو ما يتعلق بأمور الدين،وليس ما يعم الدين والدنيا ، وإلا فإن علوم الدنيا في ارتفاع حتى غزوا به الفضاء،وحطوا على القمر وعلوم الدين في انحسار،إذا سئلوا أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما قوله صلى الله عليه واله «وتكثر الزلازل»فلعل المراد من ذلك شمولها لكل أنحاء الأرض ودوامها ، لأن الزلازل بأصلها موجودة معروفة قديما،فينبغي أن يكون المعنى أن تكثر الزلازل وتتتالى في كل مكان في الأرض علامة على قرب قيام الساعة ، وعلى هذا المعنى فإن هذه العلامة مما لم يحدث بعد،ولعل حدوثها يكون نتيجة حرب نووية تزلزل الأرض في كل مكان والله أعلم .

وأما قوله صلى الله عليه وآله «ويتقارب الزمان »فيفسره حديث آخر رواه الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال :

«لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان -فتكون السنة كالشهر والشهركالجمعة ، وتكون الجمعة اليوم ويكون اليوم الساعة ، وتكون الساعة كالضرمة من النار».

فإن كان هـذا الحـديث على ظاهره فإنه لـم يقع بعد،ولعله لا يكون إلا عند اقتراب الساعة قربا كبيرا تختل معه حركة الأرض والكواكب إيذانا بخراب هذا العالـم .

أما إذا كان المراد من الحديث غير ظاهره،فيكون المراد من تقارب الزمان سـرعة قضاءالحوائج ،وتيسير الوصول إلى أبعد الأماكن بأقل زمن ، وهذا ما نراه اليوم نتيجة لتقدم العلوم وازدهار الحضارة حتى أصـبح ما يقضـي من الحوائج في الزمن القديم في سنة يتم إنجازه اليوم في أقل من شهر،وعلى هذا فقس ما جاء في الشهر والجمعة والله أعلم .

وأما قوله صلى الله عليه واله: « ويكثر الهَرجُ وهو القتل » .

فالظاهر أن المراد كثرة القتل بصورة ليس لها مثيل في تاريـخ البشـر وإلا فإن القتل موجود و بكثرة في تاريخ الإنسان الظالـم لنفسه ، أما كثرة القتل الـذي هو من علامات الساعـة الكبرى ، فأرجح والله أعلم – أنه ما يحدث نتيجة حرب نووية مفنية ، يكون الناجي منها في بلاء عظيم حتى ليمر الرجل بقبر الرجل فيقول:«ليتني مكانه »كما قال رسول الله صلى الله عليه واله في الحديث الذي معنا .

وأمـا كثرة المـال حتى يصـاب صـاحبه بـالهم لأـنه لاـ يجـد من يقبـل صـدقته،فقـد حـدث ذلـك في زمن عمر بن عبـدالعزيز رضـي الله عنه،وسيحدث مرة أخرى في زمن عيسى عليه السلام ونسأل الله العافية، والنجاة من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

***

الباب الثاني

أشراط الساعة الكبرى

تمهيد

وبين يـدي الساعة علامات مؤذنة بقرب قيامها ، يعد بعضـها من علاماتها الصـغرى ، أي لا يلزم من ظهورها قرب قيام الساعة قربا بالغا ،بل يجوز أن يكون البـاقي من عمر الـدنيا أكثر من ألف سـنة أو ألفين،ويكون التعبير بالقرب هنا بالنسـبة لما مضـى من حياة بني آدم على هـذه الأرض ، وقد قدمت في الصـفحات السابقة ما جاء في الأحاديث من أشراط الساعة الصغرى،وأولها ظهور محمد صلى الله عليه واله، ولعل آخرها « أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»وقد حدث هذا كما نرى من قرب .

ونحن الآن في انتظار علامات الساعـة الكبرى التي إن ظهر أولها تتابعت كحبات العقـد إذا انفرط ثم تكون الساعة كالحامل المتم لا تدري متي يفجؤها المخاض .

وأول علامات الساعـة الكبرى،ظهور المهدي ثم الدجال ثم نزول عيسـى عليه السـلام ويقتل الدجال ، ثم يأجوج ومأجوج ، ثم الريح التي تهب بعد موت عيسى عليه السلام فتقبض أرواح المؤمنين ثم الدابة وطلوع الشمس من مغربها ثم النار التي تسوق الناس إلى محشرهم وفي ترتيب ظهور بعض هذه الآيات خلاف بين العلماء سأذكر الراجح منه إن شاء الله .

وسـأكتفي بـذكر الأحـاديث الواردة في ذكر الآيـات الكبرى كما فعلت عنـد ذكر علاماتها الصـغرى وذلك لتيسـير الوصول إلى ما جاء في أشراطها من أحاديث مفرقة في الكتب مع الحرص على إيراد الصحيح منها والحسن إن شاء الله والله المستعان .

ص: 20

الفصل الأول: ما جاء في ظهور المهدي

قال ابن تيمية في المنتقى ص 534 ما نصه :

«الأحاديث على خروج المهدي صحيحة ،رواها أحمد وأبو داود والترمذي منها حديث ابن مسعود مرفوعا :

16 –«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي ،واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلماً».

وأخرجه أبو داود والترمذي من حديث أم سلمة وفيه :

17 – « المهدي من عترتي من ولد فاطمة » .

ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد وفيه :

18 –« يملك الأرض سبع سنين » .

19– وعن علي رضي الله عنه أنه نظر إلى الحسن فقال :

«سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخلق ، ولا يشبهه في الخلق ، يملأ الأرض قسطا ».

فأما حديث«لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » فضعيف فلا يعارض هذه الأحاديث انتهى كلام ابن تيمية .

20– وأخرج الطبراني من طريق قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

« سيكون من بعدي خلفاء ، ثم من بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء

ملوك ، ومن بعـد الملوك جبابرة،ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عـدلا كما ملئت جورا ،ثم يؤمر القحطاني،فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه »فتح ج 13 ص 214.

وقال ابن خلدون في الفصل الثاني والخمسين من المقدمة ما نصه :

«اعلم أن المشـهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار،أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين ، و يظهر العدل ،ويتبعه المسلمون ، ويستولي على الممالك الإسلامية ، ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره » .

ثم أورد رحمه الله ما جاء في المسألة من أحاديث ،وسأكتفي هنا بِذِكرِ الصحيح منها أو الحسن والله المستعان .

21- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

«لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي »قال الترمذي حسن صحيح .

22 – وعن علي رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه واله قال :

«لو لم يبق من الدهر إلايوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا » رواه أبو داود وقال ابن خلدون : في سنده مطر بن خليفة مختلف فيه وَوَثَّقه أحمد وابن مَعين والنسائي .

23 – عن أبي سـعيد الخدري رضـي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول : « المهدي مني ، أجلى الجبهة ، أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا،كما ملئت جورا وظلما ، ويملك سبع سنين » أبو داود بسند حسن .

ومعنى (أجلى الجبهة)قد ذهب شعر رأسه إلى نصفه (وأقنى الأنف) طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه .

24 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال:

« إن في أمتي المهدي يخرج ويعيش خمسا أو سبعا أو ستا – زيد الشاك – قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال سنين ، قال : فيجيء إليه الرجل فيقول :

يامهدي أعطني ، قال : فيحثوله في ثوبه ما استطاع أن يحمله »

الترمذي وقال هذا حديث حسن .

ولفظ ابن ماجة والحاكم :

25 –«يكون في أمتي المهـدي إن قصـر فسـبع ، وإلا فتسع ، فتنعم أمتي فيه نعمة لم يسـمعوا بمثلها قط ، تؤتى الأرضُ أكلها ولا يدخر منه شئ،والمال يومئذ كدوس ، فيقوم الرجل فيقول : يامهدي أعطني فيقول :خذ » .

وقد روى مسلم في صحيحه ما يعتبر تفسيرًا للحديث السابق ،وهوما رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

26 – عن أبي سـعيد الخدري رضـي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه واله «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جورا وظلما وعدوانا ثم يخرج من أهل بيتي رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا »أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

27–وأخرجه الحاكم في المسـتدرك وقال:صـحيح على شرط الشيخين عن علي رضي الله عنه من رواية أبي الطفيل عن محمد ابن الحنفية قال :

«كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال له :

« ذلك يخرج في آخر الزمان ، إذا قال الرجل ، الله الله ، قتل ، ويجمع

الله له قزعا كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم،فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم ، عدتهم على عدة أهل بدر،لم يسبقهم الأولون ، ولا يدركهم الآخرون ، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر .

قال أبو الطفيل : قال ابن الحنفية:أتريده ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه يخرج من بين هذين الاخشبين-يعنى جبلى مكة-قلت:لا جَرَمَ لا ادعها حتى أموت بها -يعني مكة -مات بها أبو الطفيل انتظارا لظهور المهدي كما نبأه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه ، والمراد بقزع السحاب قطع السحاب المتفرقة يعني أن أصحاب المهدي يجتمعون من هنا وهناك يؤلف الله بين قلوبهم ، وعدتهم على عدة أهل بدر يعني ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وهو عدد الرسل من آدم إلى محمد صلى الله عليه واله كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد .

قال ابن خلدون : هذا الحديث إنما هو على شرط مسلم فقط .

28 - عن أم سلمة رضي الله عنها قالت :قال رسول الله صلى الله عليه واله :«يكون اختلاف عند موت خليفة ،فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة،فيخرجونه وهوكاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث في الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام ،وعصائب أهل العراق فيبايعونه،ثم ينشأ رجل من قريش ، أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم ،وذلك بعث كلب،والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ، ويعمل في الناس بسنة نبيهم،ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيلبث سبع سنين ثم يتوفي ،ويصلي عليه المسلمون »أبو داود بسند حسن .

(بجرانه)الجران : باطن العنق ،والجمع جُرُن ، والمعنى أنه قد قر الإسلام واستقام ، كما أن البعير إذا برك واستراح مد جرانه على الأرض .

***

الفصل الثاني: المسيح الدجال « الدجال شر غائب ينتظر » ما جاء في الدجال

أعظم فتنـة يبتلى بها المؤمنون هي فتنة الدجال،ويدلك على عظيم فتنته ، وخطرها على إيمان المؤمن ، اسـتعاذة رسول الله صـلى الله عليه واله منها في صلاته بعد التشهد قبل التسليم وأمره بذلك .

29- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله: « إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع :

من عذاب جهنم،ومن عذاب القبر،ومن فتنة المحيا والممات،ومن شرالمسيح الدجال » أخرجه مسلم .

ومن استعادته صلى الله عليه واله :

30-«اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار،ومن عذاب القبر وفتنة القبر،وشـر فتنة الغنى وشـرفتنة الفقر وشـر فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من المأثم والمغرم »متفق عليه.

وقد جاء حديث صحيح في كون فتنة الدجال أعظم فتنة تصيب المؤمنين في تاريخهم فقد حَدَّثَ عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه واله أنه قال :

31 -«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال »مسـلم وعنه أيضا أن رسول الله صـلى الله عليه واله قال : « من سمع بالدجال فلينأ منه ، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه،مما يبعث به من الشبهات »أبو داود بسند صحيح .

ومعنى(فلينأ منه)فليبتعـد،وقوله (يحسب أنه مؤمن)يظن الرجل بنفسه الإيمانَ القويَّ القادر على الثبات أمام فتنـة الدجال ،ولكنه حين يراه يفتن به ويتبعه والعياذ بالله .

لذلك جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :أخبرتني أم شَرِيك أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول :

32 – «ليفرنَّ الناس مِنَ الدجال في الجبال ».

قالت أم شريك :قلت : يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ ؟قال:«هم قليل ».

وقد جاء في وصف الدجال وتفصيل خروجه أحاديث كثيرة أكتفي بذكر بعضها إن شاء الله وأستعين بالله .

33 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه واله حديثا طويلا عن الدجال ، فكان فيما حدثنا به أن قال :

« يأتي الـدجال وهو محرم عليه أن يـدخل نقاب المدينة،فينتهي إلى بعض السـباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس فيقول:أشـهد أنك الـدجال الـذي حدثنا عنك رسول الله صـلى الله عليه واله حديثه ، فيقول الدجال:أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، هل تشـكون في الأمر ؟ فيقولون:لا،فيقتله،ثم يحييه فيقول حين يحييه،والله ما كنت فيك قط أشد بصـيرة مني اليوم،فيقول الدجال ، أقتله فلا يسلط عليه »أخرجه البخاري .

ولمسلم عن أبي سعيد قال :

34 – قال رسول الله صلى الله عليه واله:

« يخرج الدجال ، فيتوجه قِبَلَه رجل من المؤمنين ، فتلقاه

المسالح–مسالح الدجال – فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ؟

فيقول : ما بربنا خفاء فيقولون:اقتلوه فيقول بعضهم لبعض : أليس نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال :

يا أيها الناس ، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه واله، قال : فيأمر الدجال به فيشج،فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربا ،قال :

فيقول:أما تؤمن بي ؟فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمربه ، فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه .

قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين،قال:ثم يقول له:قم :فيستوي قائما قال:ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة قال:ثم يقول:يا أيها الناس :إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا ، فلا يستطيع إليه سبيلا.

قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار،وإنما ألقي في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه واله : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين .

شرح الغريب :

(الشباخ) الأراضي التي لا تنبت المرعى .

(بصيرة) المعرفة واليقين .

(فيشج) يمد على بطنه .

(المسالح) قوم معهم سلاح .

(يؤشر بالمئشار) يشق بالمنشار .

35 -عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

« لأنا أعلم بما مع الدجال منه ،معه نهران يجريان:أحدهما:رأي العين ماء أبيض ، والآخر : رأي العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الـذي يراه نـارًا ،وليغمض ،ثم ليطأطيء رأسه فليشـرب منه ،فإنه ماء بارد ، وإن الـدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظـة مكتوب بين عينيه كافر،يقرؤه كل مؤمن ،كاتب وغير كاتب » مسلم .

وفي رواية أخرى لمسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله :

« الدجال أعور العين اليسرى،جفال الشعر،معه جنة ونار ، فناره جنة وجنته نار».

(ظفرة)جليدة تغشي العين ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف .

(جفال الشعر) شعره كثير ملتف .

36- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله : « ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه ؟ إنه أعور ، وإنه يجيء بمثال الجنة والنار،فالتي يقول : إنها الجنة :هي النار ، وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه »متفق عليه .

37-عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

« إني حدثتكم عن الدجال حتى خشـيت ألا تعقلوا،إن المسـيح الدجال قصير أفحج،جعد أعور ، مطموس العين ،ليست بنائتة ولا جحراء ، فإن التبس عليكم ، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور» أبو داود بسند حسن .

(والفحج) تباعد ما بين الفخذين .

(غير جحراء) غائرة مختفية .

38 –عن أبي بكر الصديق رضـي الله عنه قال:حدثنا رسول الله صلى الله عليه واله قال:«الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة »الترمذي وقال حسن غريب .

(المجان)جمع مجنة وهوالترس والمراد بهؤلاء التركمان .

39– عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله:«يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا ، عليهم الطيالسة » مسلم .

40–عن مجمع بن جاريـة رضـي الله عنه قال : سـمعت رسول الله صـلى الله عليه واله يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد »الترمذي وقال حديث صحيح .

41 – عن أبي هريرة رضـي الله عنه قال:قال رسول الله صـلى الله عليه واله:« على أنقاب المدينـة ملائكـة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال »أخرجه البخاري .

(الأنقاب)جمع نقب وهو الطريق بين جبلين .

42–عن أنس بن مالك رضـي الله عنه،عن النبي صلى الله عليه واله قال:«المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله،أخرجه البخاري .

43 . وعن رجل من الأنصار من الصحابة قال :قام فينا رسول الله صلى الله عليه واله فقال : « أنذركم المسيح ... »وفيه « يمكث في الأرض أربعين صـباحا،يبلغ سـلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد:الكعبة ومسـجد الرسول ، ومسجد الأقصى ،والطور»قال ابن حجر : أخرجه أحمد ورجاله ثقات – فتح ج 13 ص 105 .

وأخرجه أبو نعيم في ترجمة حسان بن عطية – أحد ثقات التابعين – في«الحلية » بسند صحيح إليه قال :

«لا ينجو من فتنة الدجال إلا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة » .

قال ابن حجر:وهـذا لا يقال من قبل الرأي ، فيحتمل أن يكون مرفوعا أرسـله ،ويحتمل أن يكون أخذه عن بعض أهل الكتاب . انتهى فتح ج 13 ص 92.

44- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه واله :

« يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ،ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » أخرجه البخاري .

45 – عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

« بينما أنا نائم أطوف بالكعبـة ،فإذا رجل آدم ، سـبط الشـعر ينطف رأسه ماء ، قلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم ، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين،كأن عينه عنبة طافية ، قالوا :هذا الدجال أكثر الناس به شبها ابن قَطَن رجل من خزاعة»أخرجه البخاري (سبط الشعر) منبسط مسترسل (ينطف رأسه) يقطر ماء (طافية) ذهب نورها .

(ابن قطين) هو عبد العزى بن قطن من خزاعة مات في الجاهلية .

أما طواف الـدجال بالبيت مع أنه محرم عليه دخول مكـة فقـد أجاب عن ذلك القاضـي عياض بأن منعه من دخولها إنما هو عند خروجه في آخر الزمان .

46 – عن عائشة رضي الله عنها قالت:«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال » أخرجه البخاري .

47 – عن النواس بن سـمعان رضي الله عنه قال :ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الدجال فقال :«إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست

فيكم ، فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم،فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته،قلنا:وما لبثه في الأرض،قال : أربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم،فقلنا يا رسول الله ،هذا اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره ،ثم ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فيدركه عند باب لد ، فيقتله »

أخرجه مسلم والترمذي مطولاً وأبو داود مختصرا واللفظ لأبي داود .

قوله (جواركم من فتنته)حماية لكم من فتنته بإذن الله .

أما قوله صلى الله عليه وآله(يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة)قد قال النووي في شرح صحيح مسلم : ج 18 ص65 .

«قال العلماء : هذا الحديث على ظاهره،وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله صلى الله عليه واله : « وسائر أيامه كأيامكم».

وأما قولهم يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال: «لا ، اقدروا له قدره »يعني إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر،ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح » انتهى .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد بطول تلك الأيام الثلاثة،اشتداد الكرب على المسلمين بسبب فتنة الدجال حتى لكأن أول أيامه سنة تقديرا لا حقيقة ، وأما تقرير رسول الله صلى الله عليه واله أصحابه على فهمهم لطول تلك الأيام على وجه الحقيقة بدليل إجابته «اقدروا له قدره» فلعله صلى الله عليه وآله أراد أن يبين لهم الحكم

الشرعي فيما لو صادف المسلمون يوما زائدا في الطول كما هو الحال في مناطق القطب وبلاد الشمال الأعلى والله أعلم .

فإن قيل : وكيف أفهم رسول الله صلى الله عليه واله على فهمهم وهو على خلاف الحقيقة ؟ أقول:هذا ليس من باب التقرير وإنما هو توجيه لبيان ما هو أهم من الأحكام الشرعية فزيادة اليوم عن أربع وعشرين ساعة أمر حاصل فعلا فبيان حكم الصلاة فيه واجب ، خاصة عند السؤال .

فإن قيل:إذا كان مراد رسول الله صلى الله عليه واله بطول بعض أيام الدجال،الطول النسبي لا الحقيقي فلم لم يبين ذلك صراحة ؟

أقول : هذا أبلغ من التعبيروله مثيل من حديث عائشة رضي الله عنها :أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه و آله قالت :

« يارسول الله ، أينا أسرع بك لحوقا ؟ قال:(أطولكن يدا) فأخذوا قصبة يذرعونها ، فكانت سودة أطولهن يدا،فعلمنا بعد : إنما كان طول يدها الصدقة،وكانت أسرعنا لحوقا به،وكانت تحب الصدقة ». متفق عليه .

قلت : فهذا الحديث دل على مشروعية السكوت عن بيان أمر فهمه السامعون على غير وجهه المراد استنادا إلى وضوحه بقرائنه فيما بعد .

فقوله صلى الله عليه واله« أطولكن يدا » أراد به « أكثركن تصدقا على الفقراء » ولكن نساءه فهمن اللفظ على ظاهره فأخذن قصبة يذرعونها،يعني أخذن يقسن بالقصبة أيهن أطول يدا ، ثم تبين لهن بعد ذلك أن المراد على خلاف ما فهمن وهو قول عائشة رضي الله عنها،« فعلمنا بعد إنما كان طول يدها الصدقة » .

ويدل لما قلت أيضا من جواز السكوت وعدم اعتباره تقريرا أحيانا سكوت إبراهيم عليه السلام عن تكذيب النمرود في دعواه أنه يحي ويميت ،

وإضرابه عن ذلك إلى بيان ما أخرس النمرود وأذهله وهو قوله عليه السلام .

«رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»(1)

فقد فهم النمرود الإماتة والإحياء أن يقتل من يشاء ويعفوعمن يشاء فتركه إبراهيم وفهمه الخاطىء وأورد عليه حجة لا تُرَدُّ فبهت الذي كفر،والحمد لله رب العالمين .

ولست أريد بما قدمت الجزم بأن المراد هو الطول النسبي لبعض أيام الدجال،ولكنه احتمال وارد ، وليس هناك ما يدفعه،كما أنه ليس هناك ما يدفع الوجه الآخر من التأويل،فيكون من أيام الدجال ما يعادل سنة زمنية والله على كل شيء قدير .

أما المراد بقوله صلى الله عليه وآله،فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، فإنها جواركم من فتنته ، فيفسره ما أخرجه أحمد ومسلم والنسائي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله:

48 - « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال »وقد ورد الأمر بالإكثار من العمل الصالح قبل أن تفجأنا فتنة الدجال .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه واله قال :

49 -«بادروا بالأعمال،سبعا ،هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غني مطغيا ، أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر

1- البقرة : 258 .

غائب ينتظر أو الساعة الساعة أدهى وأمر »أخرجه الترمذي وقال حديث حسن .

(مفندا)أي موقفا في الفند وهو الحرف (مجهزا) سريعا .

(سبعا)أي قبل مجيء سبع من الأحوال الطارئة المشغلة التي ذكرها الحديث .

ص: 34

الفصل الثالث: هل الدجال حي .... ؟

اشارة

سؤال عجيب ..

والجواب عنه عجيب ...

فقـد جاء في الأحاديث الصـحيحة التي لاشك في صـحتها ، أن الـدجال محبوس في إحـدى الجزر في بحر اليمن ، كما صـحت أحاديث أخرى في وجود من اجتمعت فيه صفات الدجال ، في عهد رسول الله يقال له « ابن صياد » أو « ابن صائد » .

وقـد اختلف العلماء في شأنه اختلافا كبيرا،لدقـة المسألة وخفائها ، وصـعوبة الجمع أو الترجيح بين الأحاديث ، فجميعها قوية الأسانيد لا يرقى إليها شك إن شاء الله.

وسأورد هنا إن شاء الله ما جاء في المسألة من أحاديث وأقوال العلماء فيها

ثم أرجح بإذن الله ما أرى أنه الحق والله المستعان .

حديث تميم الداري

50- عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت :

سمعت نداء المنادي ينادي « الصلاة جامعة » فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله صلى اله عليه وآله، فكنت في النساء التي تلي ظهور القوم ، فلمـا قضـى رسول الله صـلى الله عليه واله صـلاته جلس على المنبر وهو يضـحك،فقال:«لِيَلزَم كل إنسان مصـلاه »ثم قال:« أتدرون لم جمعتكم ؟»

قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال صـلى الله عليه وآله : إني والله ما جمعتكم لرغبـة ولا لرهبـة ، ولكن جمعتكم لأن تميما الـداري كان رجلا نصرانيا ، فجاء فبايع

وأسلم ، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية ،مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شـهرا في البحر ، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة ، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب ، كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟

قالت : أنا الجساسة .

قالوا : وما الجساسة ؟

قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدير،فإنه إلى خبركم بالأشواق .

قال : لما سَمَّت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة ، قال :

فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير،فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا،وأشده وثاقا ، مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد .

قلنا : ويلك ، ما أنت ؟

قال : قد قدرتهم على خبري ، فأخبروني : ما أنتم ؟

قلنا : نحن أناس من العرب،ركبنا في سـفينة بحرية،فصادفنا البحرحين اغتلم،فلعب بنا الموج شهرا ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب،كثير الشعر،لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر،فقلنا:ويلك ،ما أنت ؟فقالت : أنا الجساسة ، قلنا : وما الجساسـة،قالت:اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في الدير،فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سـراعا ، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقـال : أخبروني عن نخل بيسان ، قلنا : عن أي شأنها تسـتخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إنه يوشك ألا تثمر قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية ، قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟قال:هل فيها ماء ؟قالوا هي كثيرة الماء قال:أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال : أخـبروني عن عين زغر،قلنـا : عن أي شأنهـا تسـتخبر ؟ قـال هـل في العين مـاء ، وهـل يزرع أهلهـا بمـاء العين ؟ قلنـا : نعم ، هي كـثيرة الماء،وأهلها يزرعون من مائها قال:أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟قالوا : قـد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صـنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قـد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه،قال لهم:قدكان ذلك ؟ قلنا : نعم قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه،وإني مخبركم عني،إني أنا المسيح ، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج،فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلـة ، غير مكـة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما،كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما اسـتقبلني ملك بيده السـيف صـلتا يصدني عنها،وإن على كل نقب منها ملائكـة يحرسونها،قالت : قال رسول الله صـلى الله عليه وآله : وطعن بمخصـرته في المنبر« هـذه طيبة –هذه طيبة يعني المدينة – ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟

فقال الناس : نعم ، قال :

« فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة،ألا إله في بحر الشام أو بحر اليمن،لا بل من قبل المشرق.ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو ، وأومأ بيده إلى المشرق .

قالت فاطمة بنت قيس:فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي .

وقـد رواه مع فاطمـة بنت قيس،أبو هريرة ،وعائشة ، وجابر-رضـي الله عنهم.قلت :هذا الحديث الصـحيح الصـريح دل على وجود الدجال مكبلا بالحديد في إحدى جزر بحر اليمن أو الشام ، وأن خروجه سيكون من المشرق ،من خراسان أو أصبهان،كما جاء مفسرا للحديث رقم (38)و(39) من هذه الرسالة .

وقوله صلى الله عليه وآله «من قبل المشرق ماهو»ما ،هنا زائدة وليست نافية والمقصود تأكيد أنه يخرج من جهة المشرق ، فإن قيل :

قد كشفت اليوم كل الجزر صغيرها وكبيرها ،ولم يظهر للدجال فيها أثر فكيف نوفق بين هذا والحديث المذكور .

أقول : إن آمنا بالله ورسوله فالجواب يسير إن شاء الله .

فإما أن نقول:إن الله قـد أخفى الـدجال عن العيون،فلا يراه الناس وإن وطئوا الجزيرة،وإنماكانت رؤية تميم الداري آية من آيات الله ،في أيام محمد صلى الله عليه وآله زيادة في إثبات صدقه ، فيما أخبر به الرسول المعصوم.صلى الله عليه وآله، لذلك ،رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله قد تهلل وجهه حين أخبر أصحابه بالحديث وقال : « فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة » .

شرح الغريب :

(أرفؤوا) دنوا من البر .

(أقرب) قوارب صغيرة للنزول إلى الشاطىء .

(اغتلام البحر) اضطراب أمواجه .

(صلتا) المسلول من غمده .

(المخضرة) عصا أو قضيب .

ما جاء في « ابن صياد » وهل هو الدجال ؟

«ابن صياد »من مواليد المدينة المنورة،من أبوين يهوديين،اجتمعت فيه علامات الدجال،و أشكل أمره على أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله،وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله عن التصريح بحقيقة أمره،فاختلف علماؤنا في شأنه اختلافا كبيرا ،والله أعلم بالحقيقة ، وإني ذاكر هنا ما جاء فيه من أحاديث مع أقوال العلماء في بيان مُشكِلِها، ثم أرجح إنشاء الله ما أرى أنه الحق والله المستعان .

51 -أخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال :

«إن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وآله في رَهط من أصحابه قِبَل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة ، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله ظهره بيده،ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن صياد : « أتشهد أني رسول الله » ؟

فنظر إليه ابن صياد فقال :«أشهد أنك رسول الأميين » .

فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله عليه وآله:«أتشهد أني رسول الله » ؟

فرفضه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : « آمنت بالله وبرسله » .

ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله؛ « ماذا ترى » ؟

قال ابن صياد : « يأتيني صادق وكاذب » .

-فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:«خلط عليك الأمر ».

-ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: « إني قد خَبَأتُ لك خبيئاً » .

،وخبأ له (يوم تأتي السماء بدخان مبين)(1).

فقال ابن صياد : « الدخ » .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:«اخسأ فلن تَعدُوَ قَدرك » .

فقال عمر بن الخطاب:« دعني يارسول الله أضرب عنقه».

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إن يكنه فلن تسلط عليه ، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله » .

وقال سالم:سمعت ابن عمر يقول :

انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بن كعب الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد ، حتى إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله النخل طفق يتقي بجذوع النخل وهويَختِلُ أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مضطجع على فراش في قطيفة له فيها رمرمة أو زمزمة،فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد :

« ياصاف ، وهو اسم ابن صياد – هذا محمد .

فثار ابن صياد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :«لو تركته بين »متفق عليه .

قال أبي بن كعب :«لو تركته بين»يعني:« لو تركته أمه بين أمره».

شرح الغريب :

(اخسأ)خسأت الكلب أي طردته .

(يختل) يخادعه ويراوغه حتى لا يراه .

1- الدخان : 10 .

الأطم)البناء المرتفع .

(ناهز الحلم) قارب البلوغ .

52- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

«لقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر-يعني ابن صياد-في بعض طرق المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: « أتشهد أني رسول الله » ؟

فقال هو«أتشهد أني رسول الله ؟».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « آمنت بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ما ترى ؟

قال : « أرى عرشا على الماء ».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله « ترى عرش إبليس على البحر،وما ترى ؟» .

قال : أرى صادقين وكاذبا - أو كاذبين وصادقا-.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:«لبس عليه ، دعوه »أخرجه مسلم والترمذي-ومعنى(لبس عليه)جاء مفسرا في رواية أخرى «خلط عليك الأمر»أي يأتيه به شيطان فخلط .

53 - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:« صحبت ابن صياد إلى مكة ، فقال لي :

أما قد لقيت من الناس،يزعمون أني الدجال ؟ألست سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :«لا يدخل المدينة ولا مكة ؟».

قال : قلت : بلى .

قال : فقد ولدت بالمدينة ، وها أناذا أريد مكة ، ثم قال في آخر قوله :

أما والله إني لأعلم مولده ومكانه ، وأين هو ؟

قال أبو سعيد : « فلبسني » أخرجه مسلم .

ومعنى(فلبسني) جعلني ألتبس في أمره وأشك فيه .

وفي رواية أخرى لمسلم عن أبي سعيد قال :

54-«خرجنا حُجَّاجا -أو عُمَّارًا -ومعنا ابن صائد ، فنزلنا منزلا فتفرق الناس،وبقيت أنا وهو ، فاستوحشت منه وحشة شديدة لما يقال عليه ،وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي ، فقلت : إن الحر شديد ، فلو وضعته تحت تلك الشجرة ؟؟

قال : ففعل ،قال:فرفعت لنا غنم فانطلق فجاء بعس ،فقال : اشرب أبا سعيد ، فقلت:«إن الحر شديد ، وإن اللبن حار،ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده » .

فقال :

« أبا سعيد لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة ثم أختنق مما يقول لي الناس،يا أبا سعيد ، من خفي عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ما خفي عليكم معشر الأنصار،ألست من أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «هو كافر » وأنا مسلم ، أو ليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « هو عقيم لا يولد له ولد » وقد تركت ولدي بالمدينة ؟ أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يدخل المدينة ولا مكة »وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة ؟.

قال أبو سعيد :«حتى كدت أن أعذره » .

ثم قال ابن صياد : « أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده ، وأين هو الآن ؟.

قال أبو سعيد : قلت له « تبا لك سائر اليوم » أخرجه مسلم .

وقوله (جاء بعس) العس قدح ضخم يشرب فيه .

(تبا لك) هلاكا وخسارا .

55-وأخرج مسلم عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم قال :

«لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال قوة أغضبه ،فانتفخ-يعني ابن صائد-حتى ملأ السكة ،فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها « فقالت له : رحمك الله ، ما أردت من ابن صياد، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إنما يخرج من غضبه يغضبها ؟ » .

وفي رواية لمسلم عن نافع قال : قال ابن عمر :

56 -« لقيته مرتين ، فلقيته مع قومه،فقلت لبعضهم،هل تحدثون أنهو ؟ قالوا:«لا والله » .

قال:قلت:كذبتموني ، والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا وكذلك هو زعموا اليوم،قال:فتحدثنا ، ثم فارقته ، قال : فلقيته أخرى وقد نفرت عينه،فقال : فقلت له :«متى فعلت عينك ما أرى ؟ » .

قال : « لا أدري ».

قلت : لا تدري وهي في رأسك ؟ » .

قال : « إن شاء الله خلقها في عصاك هذه » .

قال : فنخر كأشد نخير حمار سمعت .

قال :«فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت ، وأما أنا : فوالله ما شعرت .

قالوا : وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها ، فقالت :

«ما تريد إليه ؟ ألم تعلم أنه قد قال :

«إن أول ما يبعثه على الناس غضبة يغضبها ؟ » أخرجه مسلم .

قلت:قوله«فوالله ما شعرت »يدل على شدة غضب ابن عمر على ابن صياد حتى أنه لا يدري ما يفعل ، ويسمى الغضب إذا بلغ تلك الدرجة « إغلاق »لأنه يغلق على الإنسان قصده ، لذلك فإن الطلاق لا يقع ممن طلق وهو في حالة غضب شديد وهو قوله صلى الله عليه وآله :

57-«لا طلاق ولا عتاق في إغلاق» أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم والبيهقي وصححه الحاكم.

وقول حفصة رضي الله عنها« ألم تعلم أنه قد قال-أي رسول الله صلى الله عليه وآله-إن أول ما يبعثه على الناس غضبة يغضبها » .

هذا القول منها يدل على أنها كانت ترى رأي أبيها وأخيها في أن ابن صياد هو الدجال،وقد حلف عمر على ذلك أمام رسول الله صلى الله عليه وآله كما سيأتي إن شاء الله وأخرج أبو داود بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

58 - « فقدنا ابن صياد يوم الحرة ».

قلت : يوم الحرة وقع في زمن يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين من الهجرة تقريبا وهذا يدل أن ابن صياد عاش بين المسلمين في المدينة ما يزيد على سبعين سنة ، وأنه اختفى يوم معركة الحرة ، ولم يدر أحد أين ذهب ،وهذا يبطل ما ورد أنه مات وكشف وجهه ليراه المسلمون ويتأكدوا أنه ليس الدجال .

وقد صح عن ابن عمر رضي الله عنها أنه كان يقول :

59-« والله مـا أشـك أن المسـيح الـدجال ابن صـياد »أخرجه أبو داود بسـند صـحيح.وأخرجه البخاري ومسـلم وأبو داود وعن محمـد بن المنكدر قال :

60 - « رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحلف بالله « أن ابن صياد الدجال ، قال : قلت :«أتحلف بالله ؟».

قال : فإني سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وآله فلا ينكره .

صفة والدي الدجال

أخرج الترمذي حديثا يكاد يكون صـريحا في كون ابن صـياد هو الدجال المنتظر فعن أبي بكرة رضـي الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليه وآله قال :

61 - «يمكث أبو الـدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولـد لهما ولـد،ثم يولد لهما غلام أعور..أضـر شـيء،وأقله منفعة ، تنام عيناه ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وآله أبويه فقال :

« أبوه طوال،ضرب اللحم،كأن أنفه منقار ، وأمه امرأة فرضاخية ، طويلة اليديين » قال أبو بكرة :

«فسـمعنا بمولود قـد ولـد على هـذه الصـفة في يهود المدينة ، قال : فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه،فإذا نعت رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما فقلنا:« هل لكما ولد» ؟.

فقالا : « مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ، ثم ولد لنا غلام أعور ،أضر شيء ، وأقله منفعة ، تنام عينه ، ولا ينام قلبه .

قال أبو بكرة : « فخرجنا من عندهما ، فإذا هو منجدل في الشمس في

قطيفة،وله همهمة ، فكشف عن رأسه ، فقال : « ما قلتما ؟».

قلنا: : « وهل سمعت ما قلنا ؟ ».

قال : « نعم ، تنام عيناي ولا ينام قلبي » أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب .

معنى : (طِوَال ضرب اللحم)طويل خفيف اللحم .

(منجدل) مستلق على الأرض .

(فَرضاخية) ضخمة عظية .

وأخرج الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال :

62-«ولدت امرأة من اليهود غلاما ممسوحة عينه ، والأخرى طالعة ناتئة ، فأشفق النبي صلى الله عليه وآله أن يكون هو الدجال » .

ويشهد لهذا الحديث ما قبله .

ولأحمد والبزار من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال :

63 - بعثني النبي صلى الله عليه وآله إلى أمه فقال:« سلها ، كم حملت به ؟».

فقالت :«حملت به اثني عشر شهرا ، فلما وقع صاح صياح الصبي ابن شهر » .

قلت : وبعد أن أوردت ما جاء في ابن صياد من حديث أذكر إن شاء الله تعالى أقوال علمائنا في حل هذا الإشكال ، والله المستعان .

رأي الخطابي

قال الخطابي كما نقله ابن الأثير في جامع الأصول ج 1ص 362 .

قال ما نصه :

«قد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافا شديدا وأشكل أمره، حتى قيل فيه كل قول ، فيقال :

كيف بقى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا يدعي النبوة كاذبا ، وتركه بالمدينة في داره يجاوره ؟ وما معنى ذلك ؟ وما وجه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان ؟ وقوله بعد ذلك : « اخسأ ، فلن تعدو قدرك » .

ثم قال الخطابي :

« والذي عندي أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنته صلى الله عليه وآله اليهود وحلفاءهم ، وذلك أنه بعد أن قدم المدينة كتب بينه وبين اليهود كتابا صالحهم فيه على ألا يهاجروا ، وأن يتركوا على أمرهم ،وكان ابن صياد منهم أو دخيلا فيهم ،وكان يبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خبره ، وما يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب ، فامتحنة النبي صلى الله عليه وآله بذلك ليبرز أمره ويختبر شانه ،فلما كلمه علم أنه مبطل،وأنه من جملة السحرة أو الكهنة ، أوممن يأتيه رئي من الجن ،أو يتعاهده شيطان فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به ، فلما سمع قوله (الدخ)نهره فقال « اخسأ فلن تعدو قدرك » .

يريد أن ذلك شيء اطلع عليه الشيطان فألقاه إليه،وأجراه على لسانه ، وليس ذلك من قبيل الوحي السماوي إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب،ولا درجه الأولياء الذين يلهمون الغيب فيصيبون بنور قلوبهم ، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها ويخطىء في البعض ، وذلك معنى قوله « يأتيني صادق وكاذب».

فقال له عند ذلك : «قد خلط عليك » .

والجملة من أمره ، أنه كان فتنة امتحن الله به عباده المؤمنين .

« لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ »(1)

كما امتحن الله قوم موسى بالعجل.فافتتن به قوم وهلكوا ، ونجا من هداه الله وعصمه ، وقد اختلفت الروايات في كفره ، وفيما كان من شأنه بعد كبره ، فروي أنه تاب عن ذلك القول ، ثم أنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رأه الناس،وقيل لهم : اشهدوا ، وروي غير ذلك ، وأنه فقد يوم الحرة فلم يجدوه،والله أعلم«انتهى كلام الخطابي . قلت :قوله : « ثم أنه مات بالمدينة إلخ ... »هذا غير صحيح ، لما جاء بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه « فقدنا ابن صياد يوم الحرة » .

وقد تقدم بيانه في الحديث رقم (58).

وحاصل كلام الخطابي رحمه الله أنه لا يرى أن ابن صياد هو الدجال،بل هو من الكهنة أو السحرة له شيطان يخبره ببعض الغيب فيخطىء ويصيب كما جاء في شأن الكهان والله أعلم .

رأي القرطبي

قال ابن حجر في الفتح ج6ص 173 .

وقال القرطبي:«كان ابن صياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر فيصح تارة ويفسد أخرى،فشاع ذلك ولم ينزل فيه وحي ، فأراد النبي صلى الله عليه وآله سلوك طريقة يختبر حاله بها ، وقد روى أحمد من حديث جابر قال :

« ولدت امرأة من اليهود غلاما ممسوحة عينه والأخرى طالعة ناتئة ، فأشفق النبي صلى الله عليه وآله أن يكون هو الدجال».

وللترمذي عن أبي بكرة مرفوعا قال : « يمكث أبو الدجال وأمة ثلاثين

1- الأنفال : 42.

عاما لا يولد لها .. » الحديث رقم (61).

ولأحمد والبزار من حديث أبي ذر قال :

«بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمه فقال:«سلها كم حملت به ؟ » .

فقالت :«حملت به اثني عشر شهرا ، فلما وقع صاح صياح الصبي ابن شهر ».انتهى كلام القرطبي .

قلت :«وبهذا يكون القرطبي قد وافق الخطابي في كون ابن صياد أحد الكهنة الدجالين وليس هو المسيح الدجال والله أعلم .

رأي البيهقي

قال في الفتح ج13 ص 326:

«وأجاب البيهقي عن قصة ابن صياد بعد أن ذكر ما أخرجه أبو داود من حديث أبي بكرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يمكث أبو الدجال وأمة ثلاثين عاما لا يولد لهما ، ثم يولد لهما غلام أعور»-الحديث رقم (61) من هذه الرسالة .

قال البيهقي :«تفرد به على بن زيد بن جدعان وليس بالقوي ، وليس في حديث جابر(رقم 60 من هذه الرسالة) أكثر من سكوت النبي صلى الله عليه وآله على حلف عمر.فيحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله كان متوقفا في أمره،ثم جاءه الثبت من الله تعالى بأنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري(رقم 50)وبه تمسك من جزم بأن الدجال غير ابن صياد وطريقه أصح ، وتكون الصفة التي في ابن صياد وافقت ما في الدجال » .

ثم قال رحمه الله بعد أن أورد حديث تميم الداري وفيه أن الدجال مقيد بالسلاسل في إحدى جزر اليمن كما هو مفصل في الحديث رقم (50) من هذه الرسالة .

قال:«فيه-أي في حـديث تميم المـذكور - دليل أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غيرابن صـياد،وكان ابن صـياد أحد الدجالين الكـذابين الـذين أخبرصـلى الله عليه وآله بخروجهم ،وقد خرج أكثرهم ،وكأن الذين يجزمون أن ابن صـياد هو الدجال لم يسـمعوا بقصـة تميم،وإلا فالجمع بينهما بعيـد جـدا،إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شـبه المحتلم،ويجتمع به النبي صـلى الله عليه وآله ويسأله ، أن يكون في آخرها شـيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزائر البحر ، موثقا بالحديد يستفهم عن خبر النبي صلى الله عليه وآله، هل خرج أم لا ؟ فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع » انتهى كلام البيهقي .

فقلت:قوله:«الأـولى أن يحمل على عـدم الاطلاع » أراد به أن الأفضل أن تقول:إن عمر بن الخطاب وجابر بن عبـد الله حين أقسـما أن ابن صياد هو الدجال لم يكونا قد اطلعا على قصبة تميم المذكورة ، وهذا مردود بأن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أحد رواة قصة تميم أخرجه عنه أبو داود بسند حسن وفيه .

64 . قال ابن أبي سلمة : « شهد جابر أنه ابن صياد » .

قلت : « فإنه قد مات».

قال : « وإن مات » .

قلت : « فإنه أسلم » .

قال : « وإن أسلم ».

قلت : « فإنه دخل المدينة » .

قال : « وإن دخل المدينة » .

فهذا الحديث صـريح في الدلالة على إصـرار جابر بن عبد الله على الجزم بأن ابن صـياد هو الدجال رغم ما قيل من موته وإسـلامه ودخوله المدينة ،

وكأن جابر رضـي الله عنه يرى أن الدجال له شأن عجيب وأنه أوتي من الخوارق ما يُذهِلُ ضعفاء الإيمان ويفتنهم به كقتله أحد المومنين ثم إحيائه ، فليس ببعيـد أن يكون الـدجال محبوسا في إحـدى الجزر، ثم يولـد في المدينـة من أبوين يهوديين، ثم يختفي يوم مذبحة الحرة سـنة ثلاث وستين، ويلجأ إلى يهود أصبهان ، ويختفي هناك إلى أن يظهر في آخر الزمان، والله أعلم .

أما قول البيهقي:«كيف يلتم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شـبه المحتلم ، ويجتمع به النبي صلى الله عليه وآله ، ويسأله ،أن يكون في آخرها شيخا كبيرا مسجونا في جزيرة من جزائر البحر موثقا بالحديد ، يستفهم عن خبر النبي صلى الله عليه وآله هل خرج أو لا ؟ »

فهـذا القول منه رحمه الله مقبول لو سـلمنا أن الـدجال تحكمه قوانين البشـرية ولاـ يسـتطيع خرقهـا ، أمـا إذا قلنـا إن الله آتـاه من الخوارق لاسـتدراج من في قلوبهم زيغ كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة المذكورة في هذه الرسالة ، إذا قلنا بذلك ينحل الإشكال إن شاء الله ويتفق الرأي مع عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله رضي الله عنهم .

أما احتجاج البيهقي بجهل الدجال ببعثة محمد صلى الله عليه وآله، فمجرد السؤال لا يعد دليلا على عدم العلم ،فقد يسأل من يعلم لتعليم المسؤول أمرا يريد أن يعلمه إياه،فيجعل السؤال ذريعة لذلك ، وهذا كما في قول الدجال لتميم وصحبه :

أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه » .

أي : خير للعرب أن يطيعوا رسول الله صلى الله عليه وآله...

ولا يقال:كيف يدعو الدجال إلى طاعة الرسول وهو من نعلم من عداوته وحربه لله ورسوله ؟.

فإن الله سبحانه وتعالى قد يسخر أشد عباده كفرا وطغيانا،فينطقون بكلمة الحق،كما في الحديث الصحيح حين قال الشيطان لأحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قرأت آية الكرسي حفظك الله مني .

فلما أخبر الصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال له :

« صدقك وهو كذوب ».

وكان من أثر كلام الدجال لتميم أن قدم المدينة وأسلم رضي الله عنه .

أما تضعيف البيهقي لعلي بن زيد بن جدعان أحد رواة حديث أبي بكرة (61) فقد خالفه في ذلك الترمذي وقال فيه (صدوق) والمعروف أن الجرح لا يقبل مالم يكن مبينا،يعني :أن يبين الجارح سبب الجرح وإلا فالتوثيق مقدم .

رأي النووي

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم ج18ص 46.

باب ذكر ابن صياد

« يقال له ابن صياد وابن صائد ، وسمي بها في هذه الأحاديث ، واسمه(صاف)قال رحمه الله : قال العلماء :

« وقصته مشكلة ، وأمره مشتبه ، في أنه الدجال المشهور أم غيره ؟. قال :«ولا شك أنه دجال من الدجاجلة » .

قال النووي ؛قال العلماء :«وظاهر الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوح إليه بأنه المسيح ولا غيره،وإنما أوحي إليه بصفات الدجال،وكان في ابن صياد قرائن محتملة ، فلذلك كان النبي صلى الله عليه وآله لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره،ولهذا قال لعمر رضي الله عنه إن يكن هو فلن تستطيع قتله » .

ثم قال رحمه الله :«وأما احتجاجه هو – أي الـدجال – بأنه مسـلم والـدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو ، وأنه لا يدخل مكة والمدينـة وأن ابن صـياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة ، فلا دلالة له فيه ، لأن النبي صـلى الله عليه وآله إنما أخبر عن صـفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض ».

ثم قال النووي:«ومن اشتباه قصته ، وكونه أحد الدجاجلة الكذابين ، قوله للنبي صلى الله عليه وآله: أتشهد أني رسول الله ؟

ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب،وأنه يرى عرشا فوق الماء ، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال وأنه يعرف موضـعه ، وقوله : « إني لأعرفه ، وأعرف مولده ، وأين هو الآن ».

وانتفاخه حتى ملأ السكة – يعني الطريق .

ثم ختم النووي كلامه بقوله الذي دل على رأيه في ابن صياد ، فقال رحمه الله:

وأما إظهاره الإسلام ،وحجه وجهاده ، وإقلاعه عما كان عليه ، فليس بصريح في أنه غير الدجال » انتهى .

قلت : قوله هذا الأخير فيه دلالة على أن النووي يرجح رأي عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وجابر رضـي الله عنهم،لأن ما ظهر من ابن صياد مما ينافي كونه الدجال الأكبر لا يعتبر منافيا ، لأن ما نص عليه رسول الله صـلى الله عليه وآله من شأنه سيكون عند خروجه في آخر الزمان لا قبل ذلك ، والله أعلم .

رأي ابن بطال

قال في الفتح ج13 ص 325 .

قال ابن بطال بعد أن قرر دليل جابر – أي حلفه تبعا لحلف عمر أمام النبي صلى الله عليه وآله في الحديث رقم (60).

«فإن قيل : تقدم أن عمر قال للنبي صلى الله عليه وآله في قصة ابن صياد رقم (51) «دعني أضرب عنقه».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « إن يكن هو فلن تسلط عليه ».

فهذا تصريح في أنه تردد في أمره،يعني فلا بدل سكوته عن إنكاره عند حلف عمر على أنه هو.

قال ابن بطال مجيبا عن هذا الاعتراض : وعن ذلك جوابان :

أحدهما:أن التردد كان قبل أن يعلمه الله تعالى بأنه هو الدجال ، فلما أعلمه لم ينكر على عمر حلفه .

والثاني : أن العرب قد تخرج الكلام مخرج الشك ،وإن لم يكن في الخبرشك ، فيكون ذلك من تلطف النبي صلى الله عليه وآله بعمر في صرفه عن قتله » .

قلت : يعني ابن بطال بجوابه الثاني ، أن قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعمر:«إن يكن هو فلن تسلط عليه ».

هذا لا يدل على شك رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر ابن صياد بل هو يعلم أنه الدجال ، ولم يصرح بذلك لحكمة تقتضي الكتمان ،لأن الله لم يأمره بالإعلان ، فسلك مع عمر مسلك اللطف فصرفه عن قتله بما قال عليه الصلاة والسلام .

وهذا يدل أيضا على أن ابن بطال ممن يرون أن الدجال هو ابن صياد،ولكنه لم يخرج خرجته المعلومة بعد ، والله أعلم .

ثم ذكر ابن بطال ما يدل على أن ابن صياد هو الدجال ، كالحديث الذي أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر قال :

65 -«لقيت ابن صياد يوما ومعه رجل من اليهود،فإذا عينه قد طفئت وهي خارجة مثل عين الجمل ، فلما رأيتها قلت :

«أنشدك الله يا ابن صياد متى طفئت عينك » ؟

قال : لا أدري والرحمن .

قلت : « كذبت ، لا تدري وهي في رأسك ؟ ».

قال : فمسحها ونخر ثلاثا ، فزعم اليهود أني ضربت بيدي صدره ، وقلت له:

« اخسأ فلن تعدو قدرك » .

فذكرت ذلك لحفصة .

فقالت حفصة:« اجتنب هذا الرجل ، فإنما يتحدث أن الدجال يخرج عند غَضبَةٍ يغضبها ».

وأخرج مسلم هذا الحديث بمعناه (رقم 56) من هذه الرسالة،بلفظ:«لقيته مرتين » فذكر الأولى ثم قال : لقيته لُقيَةً أخرى وقد نفرت عينه ».

قال ابن بطال : فإن قيل هـذا أيضا يـدل على التردد في أمره والجواب :أنه إن وقع الشك في أنه الـدجال الذي يقتله عيسـى ابن مريم فلم يقع الشك في أنه أحد الدجالين الكذابين الذين أنذر بهم النبي صلى الله عليه وآله في قوله :

« إن بين يدي الساعة دجالين كذابين » انتهى .

قلت:كلام حفصـة لأخيها عبـد الله رضـي الله عنهما لا يـدل على شـكها في ابن صـياد بدليل تحذ يرها إياه من إغضابه ، فإن خروجه على الناس سيكون بسبب غَضبَةً يغضبها كما سمعت حفصة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (حديث 56).

وقد عَقَّبَ ابن حجر على كلام ابن بطال الأخير فقال :

« ومحصله عدم تسليم الجزم بأنه الدجال فيعود السؤال الأول عن جواب حلف عمر ثم جابر على أنه الدجال المعهود».

قلت : يعني ابن حجر بقوله :

«فيعود السؤال عن جواب حلف عمر ثم جابر ...» .

يعني :«كيف سكت رسول الله صلى الله عليه وآله على حلف عمر بأن ابن صياد هو الدجال ولم ينكر عليه ذلك إذا كان في حقيقته شك » .؟

ولكن الشك الـذي توهمه ابن بطال في قصـة حفصة وأخيها عبد الله ،لا دليل عليه ،بل الدليل على خلافه،فواضح أنهما كانا يعنيان الدجال الأكبر لاغيره،ولوضوح هذه الحقيقة قال ابن حجر عُقَيبَ قوله السابق :

«لكن في قصـة حفصـة وابن عمر دليل على أنهما أرادا الـدجال الأكبروالـلام في القصـة الواردة عنهما للعهد لا للجنس،وقد أخرج أبو داود بسند صحيح عن موسى بن عقبة عن نافع قال :

«كان ابن عمر يقول والله ما أشك أن المسيح الدجال هو ابن صياد » .

انتهى كلام ابن حجر .

رأي ابن حجر

قلت : يظهر من كلام الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث جابر الذي أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (7355) من الفتح المطبعة السلفية – ج 13 ص 323 .

يظهر بوضوح ميله إلى القول بأن ابن صياد هو الدجال الأكبر المحبوس في إحدى جزر اليمن .

وهذا نص كلامه رحمه الله :

وأقرب ما يجمع به بين ما تضـمنه حـديث تميم وكون ابن صـياد هو الدجال ، أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقا » قصة تميم رقم (50)

من هذه الرسالة .

ثم قال ابن حجر:« وابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها ، ولشدة التباس الأمر ، سلك البخاري مسلك الترجيح ، فاقتصر على حديث جابر عن عمر في ابن صياد (60) ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم (50).

ثم ذكر ابن حجر ما أخرجه أبو داود بسند حسن من رواية عمر بن أبي سلمة عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على المنبر :

إنه بينما أناس يسيرون في البحر فنفد طعامهم ، فرفعت لهم جزيرة ،فخرجوا يريدون الخبز ...».

الحديث رقم (64) من هذه الرسالة وفيه « أن جابرا شهد أنه ابن صياد،فقلت : إنه قد مات ، قال : وإن مات ، قلت : فإنه أسلم ، قال : وإن أسلم ، قلت : فإنه دخل المدينة ، قال : وإن دخل المدينة » .

قال ابن حجر:«وفي كلام جابر إشارة إلى أن أمره ملتبس،وأنه يجوز أن يكون ما ظهر في أمره إذ ذاك لا ينافي ما توقع منه بعد خروجه في آخر الزمان ».

ثم قال ابن حجر:« وقد أخرج أحمد من حديث أبي ذر :

66- «لأن أحلف عشر مرار أن ابن صياد هو الدجال،أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه ليس هو».

قال ابن حجر : وسنده صحيح :

67-ومن حديث ابن مسعود نحوه لكن قال « سبعا » بدل عشر . أخرجه الطبراني .

وفي الحديث جواز الحلف بما يغلب على الظن،ومن صوره المتفق عليها عند الشافعية ومن تبعهم ، أن من وجد بخط أبيه الذي يعرفه أن له عنـد شـخص مالا،وغلب على ظنه صدقه –يعني صدق أبيه – أن له إذا طالبه ، وتوجهت عليه اليمين–أن يحلف على البت – أي على القطع – أنه يستحق قبض ذلك منه » انتهى كلام ابن حجر .

قلت :في كلام ابن حجر دلالـة –كما قلت سابقا – على ميله إلى الأخـذ برأي عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابنته حفصة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجابر بن عبد الله ، وأبي ذر الغفاري ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم .

وحسـبنا بهؤلاء –وهم من أجلة الصـحابة وعلمائهم–حسـبنا بهم حجة في الحكم على ابن صـياد وأنه الدجال الأكبر إلا أنه لم يؤذن له في الخروج بعد، والله أعلم .

رأي الشوكاني

قال الشوكاني في نيل الأوطار ج 7 ص 215 طبعة الحلبي :

«اختلف الناس في أمر ابن صـياد المـذكور اختلافا شديدا وأشـكل أمره حتى قيل فيه كل قول ، وظاهر الحديث المذكور(رقم 51 من هذه الرسالة) أن النبي صلى الله عليه وآله كان مترددا في كونه هو الدجال أم لا ؟

وما يدل على أنه هو الدجال ، ما أخرجه الشيخان وأبو داود عن محمد بن المنكدر .

قال:«كان جابر بن عبدالله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال .

فقلت : أتحلف بالله ؟

قال :«إني سمعت عمر بن الخطاب يحلف على ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وآله فلا ينكره »وقد أجيب عن التردد – أي شك لرسول صلى الله عليه وآله في ابن صياد كما

في حديث ابن عمر الذي رواه البخاري ومسلم ومذكور في هذه الرسالة رقم (51) .

«أجيب عن هذا التردد بجوابين :

الأول : أنه تردد صلى الله عليه وآله قبل أن يعلمه الله أنه هو الدجال ، فلما أعلمه لم ينكر على عمر حلفه .

والثاني : أن العرب قد تخرج الكلام مخرج الشك وإن لم يكن في الخبر شك » انتهى كلام الإمام الشوكاني .

أبو نعيم الأصبهاني

قال ابن حجر : أخرج أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان ما يؤيد كون ابن صياد هو الدجال ، فساق من طريق شبيل عن حسان بن عبدالرحمن عن أبيه قال :

67 -«لما افتتحنا أصبهان كان بين عسكرنا وبين اليهودية فرسخ » - يعني أربعة أميال - « فكنا نأتيها - أي القرية اليهودية- فنمتار منها « أي نشتري منها ما نحتاج إليه -«فأتيتها يوما فإذا اليهود يزفنون ويضربون - يعني يرقصون ويضربون بالدفوف - فسألت صديقا لي منهم ، فقال لي :

«هذا ملكنا الذي نستفتح به على العرب يدخل ، فبت عنده على سطح فصليت الغداة«أي الفجر»فلما طلعت الشمس إذا الرهج من قبل العسكر،فنظرت ، فإذا رجل عليه قبة من ريحان واليهود يزفنون ويضربون ، فنظرت فإذا هو ابن صياد ، فدخل المدينة فلم يعد حتى الساعة » .

قال ابن حجر:«وعبد الرحمن بن حسان ما عرفته والباقون ثقات »انتهى(فتح ج 13 - 327).

نعيم بن حماد

قال ابن حجر:« ذكر نعيم بن حماد شيخ البخاري في كتاب الفتن أحاديث تتعلق بالدجال وخروجه إذا ضمت إلى ما سبق ذكره في أواخر كتاب الفتن ، انتظمت له منها ترجمة كاملة ، منها ما أخرجه من طريق جبير بن نضير ، وشريح بن عبيد ، وعمرو بن الأسود ، وكثير بن مرة ، قالوا جميعا :

« الدجال ليس هو إنسان،وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن ، فإذا برز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعا،فيضع على ظهرها منبرا من نحاس ، ويقصد عليه ، ويتبعه قبائل الجن يخرجون له خزائن الأرض » انتهى .

قال ابن حجر:وهذا لا يمكن معه كون ابن صياد هو الدجال ؛ ولعل هؤلاء مع كونهم ثقات تلقوا ذلك من بعض أهل الكتاب»انتهى تعقيب ابن حجر (فتح ج 13 - 328) .

قلت : إنكار ابن حجر لما ذكره الأربعة الثقات من كون الدجال شيطانا لا إنسانا بحجة أنه إن صح ذلك فلا يتصور كون ابن صياد هو الدجال ، هذا القول منه رحمه الله غير مقبول،فإن قول هؤلاء الثقات :

« الدجال ليس هو إنسان وإنما هو شيطان».

هذا القول منهم لا يدل على نفيهم كامل الإنسانية عن الدجال،وإثبات انتسابه إلى الجن ، بل لعلهم يريدون أنه مخلوق ممتزج ، كما ذكر ابن وصيف المؤرخ قال :

«الدجال هوشق(الكاهن المشهور)نفسه،أنظره الله،وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها ».

قال ابن حجر : « وهذا أيضا في غاية الوهي ، وأقرب ما يجمع به بين

ما تضـمنه حديث تميم وكون ابن صـياد هو الدجال ، أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقا ، وأن ابن صـياد شـيطان تبدى في صورة الـدجال في تلك المـدة ، إلى أن توجه إلى أصـبهان فاسـتتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها » انتهى كلام ابن حجر .

قلت :«عجيب أن يجوز ابن حجر كون ابن صياد أحد الشياطين قد تجسد في صورة إنسان – رغم ولادته من أبوين يهوديين في المدينة – ثم يسـتبعد أن يكون الدجال المحبوس شـيطانا أوثقه النبي سليمان عليه السلام ، فإذا آن أوان ظهوره فك الله عنه أغلاله وخرج وأتته أتان – أي أنثى حمار – ما بين أذنيها أربعون ذراعا ، وهذا لا يمكن تأويله إلا على أنها طائرة عرض ما بين جناحيها أربعون ذراعا والله أعلم .

وعلى كل حال، أرى–والله أعلم–أن الدجال شيطان خالص ،أوهو ممتزج من الإنسانية و الشيطانية ، ولكنه بالتأكيد ليس إنسانا خالصا ، فإن ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من صفاته ، وشر فتنته ، حتى أن الرجل المسلم يحسب نفسه قويا على مواجهته فإذا جاءه افتتن به رغم شـناعة شـكله ، وعور عينه ، ومثل هذه التأثيرات لا تكون إلا لشيطان مريد، أو مزيج منه ومن بشر كفارعنيد ونعوذ بالله،ونسأله سبحانه وتعالى العافية من فتن الدنيا وعذاب القبر وعذاب الآخرة بمنه وكرمه آمين .

(أ) ومما يشهد أيضا لدعوى من قال إن الدجال شيطان خالص أو ممتزج ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما :

قال :«صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة العشاء في آخر حياته ، فلما سلم قال :

68- « أرأيتكم ليلتكم هذه ؟فإن على رأس مائه سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض » متفق عليه .

قلت:هذا الحديث المتفق على صحته صريح في الدلالة على أن الدجال الموثق في إحدى جزر اليمن ليس بشرا خالصا وإنما هو شيطان أو ممتزج ، وإلا فلو كان إنسيا خالصا لشمله قول رسول الله صلى الله عليه وآله المذكور ومات قبل سنة مائة وعشر أما وقد ثبت بمجموع الأحاديث السابقة أنه سيظل حيا حتى يخرج في آخر الزمان.فدل ذلك على ما قررت من إثبات صحة قول من قال إنه شيطان أو ممتزج والله أعلم .

(ب) ومما يشهد كذلك لهذا القول أن الدجال محبوس مقيد في تلك الجزيرة قبل عهدرسول الله صلى الله عليه وآله ،وإلى عصرنا هذا،دون طعام أو شراب،إذ لم يرد ما يدل على أنه يطعم ، ومع ذلك فهو حي لم يمت . وليس هذا من خصائص البشر ، وإذا أضفنا إلى ذلك ، اختفاءه عن العيون حتى لم يره بعد تميم أحد رغم كشف كل الجزر في البحر الأحمر نرى أن كل ذلك يؤيد قول الأئمة الثقات الذين ذكرهم نعيم بن حماد شيخ البخاري في كتاب الفتن كما في الفتح على ما سبق بيانه ، والله أعلم .

(ج) ومما يشهد كذلك لهذا القول–بل هو من أكبر الشواهد –قول ابن صياد لأبي سعيد الخدري :

«والله إني لأعرفه وأعرف مولده ، وأين هو الأن» أخرجه مسلم.

فهذا القول من ابن صياد كالتصريح بأنه هو الدجال ، فإنه ادعى نوعا من المعرفة به لم يحط بها أكابر الصحابة ، ولا يقال إن شيطانه أخبره بذلك ، فإن إقسامه بالله أنه يعرفه ، يشير إلى معرفته به معرفة شهودية ، لا معرفة غيبية بحسب الوصف،فإن الصحابة جميعا يعرفونه بحسب الوصف،وهو قد ادعى درجة من المعرفة زائدة على ما عندهم .

ثم قوله :

«وأعرف مولده » يحتمل أمرين:فإما أنه أراد ميلاده الأول قبل أن يحبس في الجزيرة ويوثق بالأغلال .

أو أراد مكان مولـده الأخيرحين يأذن الله له بالخروج في آخر الزمان ،وهـذايكون بقوص من أرض مصـر ، كما أخرج نعيم بن حماد شـيخ البخاري عن كعب الأحبار«إن الدجال تلده أمه ببلدة قوص من أرض مصر » قال :

« وبين مولده ومخرجه ثلاثون سنة،ولم ينزل خبره في التوراة والإنجيل،وإنما هو في بعض كتب الأنبياء » انتهى .

قلت : وقد أنكر الإمام ابن حجر هذا الأثر لمنافاته الحديث الصحيح أن كل نبي قبل نبينا أنذر قومه الدجال ،ولأن مولده قبل مخرجه بالمدة المذكورة مخالف لكونه ابن صياد ، ومخالف لكونه موثقا في جزيرة من جزائر البحر ..

والحق أن هذا غير قادح فيما أخرجه شيخ البخاري عن كعب الأحبار،لأن عدم نزول خبره في التوراة والإنجيل لا ينافي إنذار موسى وعيسى عليهما السلام قومهما به .

ومولده ببلدة قوص من قرى مصـر،لا ينافي كونه ابن صـياد المولود بالمدينة ،ولا ينافي كذلك كونه موثقا في إحدى جزر بحر اليمن ، فإننا إذا سلمنا أنه شـيطان خالص أوشـيطان ممتزج بالآدمية،كان له أحوال وأحكام تباين أحوال وأحكام البشر،فإنه لأمر أراده الله ،قد أمكنه الله وهو مقيد هناك أن يخرج منه قرينه ليسـتقر في رحم اليهودية التي مكثت ثلاثين عاما لا تلد ، وكان زوجها أباه مجازًا ، أو سـمى كذلك لأنه سقاه وهو في رحم امرأته،وقد مكث في بطنها اثني عشـر شهرا وحين وضعته صاح صياح ضبي له شهر،كما جاء في الحديث رقم (63) من هذه الرسالة ، ثم اختفى يوم

مذبحة الحرة،وظهر عند يهود أصـبهان فعرفوه واحتفلوا به وأخذوا يرقصون ويضـربون الدفوف كما جاء في الأثر رقم (67) من هذه الرسالة ،ثم اختفى هناك ولم يعد يراه أحد.

فإذا صـح هـذا فلا يبعـد أن يولد مرة أخرى من أبوين يهوديين بقوص ، كما أمكنه الله من ذلك في زمن رسول الله صـلى الله عليه وآله ، ثم يخرج على الناس بعد ثلاثين سنة من مولده ، والله أعلم .

(د) ومن الشواهد أيضا على حقيقة ابن صياد الشيطانية قوله لأبي سعيد في إحدى روايات مسلم :

« والله إني لأعلم الآن حيث هو . وأعرف أباه وأمه».

فقول اللعين:« أعلم الآن حيث هو»واضـح أنه لا يعني أنه يعلم أنه مقيـد هناك في إحدى الجزر ، فهذا أمر يعرفه كل الصـحابة،فلا حاجة له إلى تلك الدعوى ، والغالب أنه أراد بذلك نفسه ، بدليل قول أبي سعيد :« فلبسني » أي جعلني ألتبس في أمره وأشك فيه .

وبدليل قول ابن صياد حين سئل :

«أيسرك أنك ذاك الرجل ؟ » أي الدجال .

قال :«لو عرض على ما كرهته » .

ثم قوله :«أعرف أباه وأمه »الظاهر أنه أراد أباه وأمه الحقيقيين وهما من الجن والآخر من الأنس،كما قال ابن نصيف المؤرخ والله أعلم .

فإن قيل:سيكون خروج الدجال من أصبهان ويتبعه سبعون ألفا من اليهود كما جاء في الحديث الصحيح رقم (39) من هذه الرسالة .

فكيف يتفق هذا مع دعوى ولادته بقوص من أرض مصر كما ذكر كعب

الأحبار عن بعض كتب الأنبياء ؟

أقول:إن صحت رواية كعب ، فيكون مولده بمصر ، وخروجه بأصبهان ، ويتبعه من سكانها اليهود سبعون ألفا ، وهذا كما ولد ابن صياد في المدينة ثم فر إلى أصبهان واختفي هناك.

فإن قيل : فما الحكمة من تجسده في ابن صياد زمن البعثة النبوية ؟

أقول والله المستعان

قد آمنا أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله مبلغا وليس إليه من الهداية شيء،وإن الله خلق إبليس مزينا وليس إليه من الضلالة شيء ، فقد أراد الله ابتلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وآله بذلك الدجال،ليزداد الذين آمنوا إيمانا ، ويهلك الذين في قلوبهم مرض،وإذا تأملنا في الأحاديث الواردة في ابن صياد نجد أن تاريخ ولادته يقارب تاريخ بعثة النبي صلى الله عليه وآله،وأن تاريخ اختفائه وافق أعظم مصيبة وأشد فتنة أصابت دار الهجرة ومدينة الأنصار حين استباحها جند الشام وفعلوا بها الأفاعيل،وكان ذلك يوم الحرة،وهو قول جابر المروي عنه بالسند الصحيح :

« فقدنا ابن صياد يوم الحرة » أخرجه أبو داود .

فكأن ابن صيادكان ينتظر مثل هذا اليوم الأسود ليتشفى بالمسلمين،ويرى من فتنتهم ما يسره ، ولعله اكتفى بما رأى فاختفى ، وحسبنا الله وكفى .

وحاصل ما قدمت يجعلني أطمئن إلى الاعتقاد بأن الحق هو ما أقسم عليه عمر بن الخطاب ، ووافقه عليه ولده عبد الله وجابر بن عبد الله وأبو ذر وابن مسعود رضي الله عنهم ، فدجال آخر الزمان المحبوس في إحدى جزر البحر الأحمر، هو بعينه الذي ظهر في المدينة في صورة ابن صياد ، ووافق مولده

أول مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، وادعى النبوة ، لمحاولة فتنة الصحابة وإفساد الأمر على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الله عصم المسـلمين من شره،وانكشف دجله ،فأظهر الإسلام حتى لا يطرد من المدينة كما طرد سائر اليهود ، والله يعلم ما شاركفيه اللعين من الفتن التي وقعت بين المسلمين،وأولها مقتل أمير المؤمنين عثمان وآخرها وقعة الحرة التي افتقد فيها ابن صياد فلم يوجد له أثر .

هذا هو الرأي الراجح عندي بحسب الأدلة المذكورة ، والله أعلم بما هو الحق عنده .

والحمد لله رب العالمين .

***

ص: 66

الفصل الرابع: نزول عيسى عليه السلام

اشارة

«وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»(1)

نزول عيسى عليه السلام

عيسى حي بجسده عليه السلام

قال تعالى :«وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ،بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ،وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»(2) .

وقال سبحانه : «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا»(3).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله بعد أن أورد أقوال بعض الصحابة

1- النساء : 159 .

2- النساء :157 - 159 .

3- النساء : 171 .

والتابعين في تفسير قوله تعالى :

«وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به قبل موته».

قال :«وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول،وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام » انتهى .

قال ابن كثير:«ولا شك أن هذا الذي قاله ابن كثير جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه،وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة بذلك،فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبة لهم فقتلوا الشبه وهم يتبينون ذلك ، ثم أنه رفعه إليه وأنه باق حي،وأنه سينزل قبل يوم القيامة،كما دلت الأحاديث المتواترة،فيقتل مسيح الضلالة ،ويكسر الصليب ،ويقتل الخنزير،ويضع الجزية،يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان،بل لا يقبل إلا الإسلام ، أو السيف ،فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب،ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال سبحانه :

«وإن مِّن أهل الكتاب إلا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِه»أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصاري أنه قتل وصلب «ويومَ القِيامَةِ يكونُ عَلَيهِم شَهيداً»أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض.انتهى ج1ص 457 مختصر ابن كثير .

وقال الألوسي في «روح المعاني » ج 6ص 13 .

«وقيل : الضميران لعيسى عليه السلام (يعني الضمير في ، به ، وموته)وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا ، وأبي مالك والحسن

وقتادة،وابن زيـد،واختاره الطبري،والمعنى أنه لا يبقى أحـد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسـى عليه السـلام إلا ليؤمنن به قبل أن يموت وتكون الأديان كلها دينا واحدا » انتهى .

وروي ذلك عن بعض المفسرين ومنهم ابن عباس بالسَّنَدِ الصحيح أن معنى الآية : لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى .

وهذا لا تعارض بينه وبين المعنى الأول المذكور والمروي أيضا عن ابن عباس بسند صحيح ، فإن الثابت عند أهل الحق أن كل أحد ينجلي له عند احتضاره ما كان جاهلا به فيؤمن،وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها،وهذا كما قال تعالى :

«وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ »(1)

وبهـذا يكون المراد بالآيـة أن جميع أهـل الكتاب يؤمنون بعيسـى عليه السـلام سواء عنـد موتهم ، أو عنـد نزول عيسـى عليه السـلام وقبل موته،وتصـبح الأديان كلها دينا واحـدا هو دين الإسـلام ، وهـذا أمر متفق عليه عنـد أهل السـنة ولا خلاف فيه والحمد لله لتواتر الأحاديث الصحيحة في نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال والله أكبر ولله الحمد .

ما جاء في نزول عيسى عليه السلام

69 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ، حكماعدلا ،

1- النساء18.

فيكسر الصليب ويقتل الخنزير،ويضع الجزية،ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ،وحتى تكون السجدة خيرا له من الدنيا وما فيها ».

ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم«وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»(1).

أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري .

70-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير،ويمحو الصليب،وتجمع له الصلاة ، ويعطي المال حتى لا يقبل،ويضع الخراج ، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتر أو يجمعها »أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح .

71 - عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم».

وفي رواية أخرى : فَأَمَّكم منكم».

قال ابن أبي ذئب : « تدري ما أمكم منكم ؟ .

قلت : « تخبرني ».

قال : فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم :أخرجه مسلم .

72 -عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال :

«الأنبياء أخوة لعلات ، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد ،وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم ،لأنه لم يكن نبي بيني وبينه،وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع ، وإلى الحمرةوالبياض ، عليه ثوبان ممصران،كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل،فيدق الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع

1- النساء159.

الجزية ويدعو الناس إلى الإسـلام ،ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسـلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال،ثم تقع الأمنية على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم،ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم،فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » (1) .

ومعنى(الأنبياء إخوة لعلات)يعني : أمهاتهم مختلفة ، وأبوهم واحد،والمراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .

(ثوبان ممصران) مصبوغان بصفرة يسيرة .

(رجل مربوع) أو ربعة : بين الطويل والقصير .

وأخرج مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي عنه قال :

73 – ذكر رسول الله صـلى الله عليه وآله الـدجال ذات غـداة،فخفض فيه ورفع حتى ظننـاه في طائفـة النخـل،فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا .

فقال:« ما شأنكم ؟».

قلنا :«يارسول الله ذكرت الدجال غداة،فخفضت فيه ورفعت حتى ظننناه في طائفة النخل ».

قال:«غير الـدجال أخوفني عليكم،إن يخرج وأنا فيكم،فأنا حجيجه دونكم،وإن يخرج ولست فيكم فامرؤحجيج نفسه،والله خليفتي على كل مسـلم،إنه شاب قطط،عينه طافيـة،كأني أشـبهه بعبـد العزى بن قطن،من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج من خلة بين الشام والعراق ، فعاث يمينا ، وعاث شمالا ، يا عباد الله ، فاثبتوا » .

1- أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح .

قلنا :«يارسول الله فما لبثه في الأرض ؟ »

قال:«أربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائرأيامه كأيامكم ».

قلنا :يا رسول الله وذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ .

قال : « لا ... اقدروا له قدره » .

قلنا : يا رسول الله ، وما إسراعه في الأرض؟.

قال:كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له،فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما انت ذرى وأسبغه ضروعا ، وأمده خواصر،ثم يأتي القوم فيدعوهم،فيردون عليه قوله،فينصرف عنهم،فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم،ويمر بالخربة فيقول لها:أخرجي كنوزك،فتتبعه كنوزها كيعا سيب النحل ،ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا،فيضربه بالسيف،فيقطعه جزلتين،رمية الغرض،ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك،فبينما هو كذلك،إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدرمنه كجمان اللؤلؤ،ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات،ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد،فيقتله،ثم يأتي عليه السلام قوما قد عصمهم الله منه،فيمسح عن وجوههم،ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة،فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى:

(إني قد أخرجت عبادا لي،لا يدان لأحد بقتالهم،فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله (يأجوج ومأجوج)وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر

أولهم على بحيرة طبرية،فيشربون ما فيها،ويمر آخرهم فيقولون:لقد كان هذه مرة ماء، و يحصر نبي الله عيسى وأصحابه،حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم،فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم،فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم،فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله،فيرسل الله طيرا كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله،ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة .

ثم يقال للأرض:«أخرجي ثمرك ، وردي بركتك ».

فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها،ويبارك الله في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس » .

فبينما هم كذلك،إذ بعث الله ريحا طيبة،فتأخذهم تحت آباطهم ، فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم،ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » (1).

شرح الغريب :

(خفض ورفع)حقر الدجال وعظم خطر فتنته .

(قطط)شديد جعودة الشعر .

(عاث)العيث أشد الفساد والإسراع فيه .

(يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة)سبق بيانه بالتفصيل في شرح الحديث رقم (47) من هذه الرسالة .

1- أخرجه مسلم .

(سارحتهم)ماشيتهم .

(أسبغه ضروعا)أطول أثداء لكثرة اللبن .

(أمده خواصر) أطوله خواصر لكثرة امتلائها من الشبع .

(جزلتين) قطعتين.

(رمية الغرض)يصيبه إصابة رمية الهدف .

(مهرودتين) ثوبين مصبوغين بالصفرة وهو قوله في الحديث السابق (ممصرتين).

(كجمان اللؤلؤ)حبات من الفضة على هيئة اللؤلؤ الكبار-والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه .

(لا يدان لأحد بقتالهم) لا طاقة .

(حرز عبادي إلى الطور)ضمهم إلى جبل الطور ليكون لهم حرزا أي حافظا من يأجوج ومأجوج .

(النغف)دود يكون في أنوف الإبل .

(فرسى)قتلى .

(زهمهم) رائحتهم .

(مدر)الطين الصلب .

(كالزلفة)كالمرآة .

(العصابة)الجماعة .

(قحف الرمانة) مقعر قشرها .

(الرسل)اللبن .

(اللقحة)الناقة ذات اللبن .

(الفئام) الجماعة .

(يتهارجون تهارج الحمر)يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير .

74- عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يخرج الدجال في أمتي ،فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوما،أو أربعين شهرا . أو أربعين سنة ، فيبعث الله عيسى ابن مريم،كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين،ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام،فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير - أو إيمان - إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه،فيبقى شرار الناس في خفة الطير،وأحلام السباع،لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول :

ألا تستجيبون » .

فيقولون : فما تأمرنا ؟.

فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم ،حسن عيشهم،ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصى ليتا ، ورفع ليتا .

قال:«وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله»فيصعَقُ ويصعَق الناس،ثم يرسل الله أو قال ينزل الله-مطرا كأنه الطل،فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون،ثم يقال :

أيها الناس هلموا إلى ربكم «وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ»(1).

ثم يقال : « أخرجوا بعث النار».

فيقال : من كم ؟

فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ».

قال : فذلك «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا»(2).

وذلك «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ »(3).

أخرجه مسلم والنَّسَائي ومعنى (أصغى ليتا)أمال صفحة عنقه.قوله :

«لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين سنة »لعل الشك من عبدالله بن عمرو وثبت في الأحاديث الصحيحة المذكورة أنه يمكث أربعين يوما فقط .

75 – عن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يقتل عيسى ابن مريم الدجال بباب لد»أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح .

76 – عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون عن الحق ظاهرين إلى يوم القيامة،فينزل عيسى فيقول أميرهم :«تعال صل لنا ».

فيقول:«لا إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة » أخرجه مسلم .

1- الصافات : 24 .

2- المزمل : 17 .

3- القلم : 42.

قال بعض العلماء :هـذا إنما يكون أول نزوله عليه السـلام،ثم يؤم المسـلمين بعد ذلك،ففي رواية أخرى لابن ماجة : يقول – أي عيسـى –« تقدم فصل ، فإنها لك أقيمت »والراجح أن إمام المسلمين يومئذ هو محمد بن عبدالله المهدي والله أعلم .

وفي الحـديث دليـل على أن الله لاـ يخلي الأـرض من عبـاده الصـالحين،الـذين يقاتلون على الحق الـذي يتيقنونه،ولعلهم اليوم مجاهـدو أفغانستان الصادقون وغيرهم من عباد الله المؤمنين.

صفة عيسى عليه السلام

جاء في الحـديث رقم (72) « فـإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع »–يعني بين الطويل والقصـير–«إلى الحمرة والبياض»يعني أبيض مشـربا بحمرة«عليه ثوبان ممصران »أي مصبوغان بصفرة«كأن رأسه يقطر وإن لـم يصبه بلل » .

وفي حديث النواس بن سمعان رقم (73) .

«فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين »يعني ثوبين أصفرين وفي الذي قبله « ثوبان ممصران »وهما بمعنى واحد .

«واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر »يعني قطر ماء،وفي الذي قبله«كأن رأسه يقطر وإن لـم يصبه بلل » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« وإذا رفعه – أي رفع رأسه –تحدر منه جمان كاللؤلؤ »شبه قطرات الماء في صفائها باللؤلؤ.

«ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث انتهى

طرفه»قال النووي:قال القاضـي عياض : وهذا على حقيقته.بمعنى أن كل كافر يموت إذا وجد ريح نفسه عليه السلام ، وريح نفسه يبلغ مسافة مد بصره .

وروى البخـاري ومسـلم عـن أبي هريرة رضـي اللـه عنـه قـال : قـال رسـول اللـه صـلى الله عليه وآله:« حين أسـري بي لقيت موسـى عليه السـلام»فنعته النبي صـلى الله عليه وآله فإذا رجل حسـبته قال مضطرب-وفي رواية -ضرب من الرجال« يعني بين الرجلين في كثرة اللحم وقلته أو بين السِّمَنِ والنحافة-« رَجل الرأس »يعني شعره وسط بين الجعودة والاسترسال-«كأنه من رجال شَنُوءة »إحدى القبائل .

قال : ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وآله:

« فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس » يعني : حَمَّامًا .

قال : ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، وأنا أشبه ولده به »متفق عليه .

قلت : وبهذا تتفق الأحاديث الصـحيحة في تحدر الماء من رأس عيسـى عليه السـلام ، وفي لون ثوبيه ، وفي أثر نفسه الشـريف على الكفار حتى أنهم لاـ يملكون الحياة حين يجـدون ريـح نفسه عليه السـلام ولتلك الأوصاف كلها سـر سأبينه إن شاء الله في القسم الرابع من هـذه الرسالة.

وقد جاء في حديث صحيح رواه مسلم ما يؤكد أثر نَفَسِه الطاهر عليه السلام في إماتة الكفار ، وفيه :

« فبينمـا هم يعـدون للقتال-أي المسـلمون-يسوون الصـفوف ، إذ أقيت الصـلاة،فينزل عيسـى ابن مريم فيؤمهم ، فإذا رآه عـدو الله -يعني الدجال - ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله

بيده ، فيريهم دمه في حربته » .

فقوله صلى الله عليه وآله:«فلو تركه لذاب حتى يهلك »صريح في تأكيد ما جاء في روايةمسلم عن النواس (رقم 73) : ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات » .

أما قوله:«فيؤمهم »لا يعارض الروايات الأخرى في كونه يقدم إمامهم ويقوله له : « إنها لك أقيمت »

فيكون المعنى : فيؤمهم بعد تلك الصلاة،أو يكون المعنى يصبح إماما لهم أي أميرا وخليفة ، وكلاـ الأمرين حاصل إن شاء الله ، فأمير المؤمنين هو إمامهم في الصلاة،على هذا جرى العمل في القرون الأولي التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بالخيرية .

مدته ومكان دفنه عليه السلام

-قال ابن كثير في تفسيره ج 1 ص 83ه ما نصه :

«تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ، ثم يتوفي ، ويصلي عليه المسلمون ، وفي حديث عبدالله بن عمر عند مسلم أنه يمكث سبع سنين ، فيحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة ، مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله ، فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح ، وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنهم على صورة أبيهم آدم،وميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة ، وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم ، أنه رفع وله مائة وخمسون سنة فشاذ غريب بعيد » .

ثم قال ابن كثير:«وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عيسى ابن مريم

من تاريخه عن بعض السلف أنه يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله في حجرته ، فالله أعلم»انتهى.

قلت : ما ذكره ابن عساكر أخرجه الترمذي عن عبد الله بن سلام الصحابي رضي الله عنه قال : «مكتوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وعيسى ابن مريم عليه السلام يدفن معه».

وقال أبو مودود المدني :

«قد بقي في البيت موضع قبر»أخرجه الترمذي وقال:هذا حديث حسن غريب .

قلت:الذي ذكره الإمام ابن كثير في الجمع بين روايتي مكث عيسى عليه السلام وأنه يمكث سبع سنين بعد نزوله،ورفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فيكون مجموع لبثه في الأرض أربعين سنة،هذا هو الراجح والله أعلم لأن الروايتين صحيحتان،والجمع إذا أمكن من غير تكلف أولى من رد إحداهما .

أما ما جاء في دفن عيسى عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الحجرة الشريفة فأرجح صحته–والله أعلم–لأن الراوي وهو(عبدالله بن سلام)كان من علماء اليهود وأحبارهم ، ثم أسلم لأنه وجد صفة رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة وكانت التوراة إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدخلها التحريف إلا قليلا،فيكون خبر دفن عيسى عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أصل التوراة قبل تحريفها،إذ لو كان ثم تحريف لأزيلت الرواية وما معها من صفة محمد صلى الله عليه وآله، ولما لم يحدث هذا تبين لنا أنها على أصلها إن شاء الله .

***

الفصل الخامس: يأجوج ومأجوج

اشارة

«حَتّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»(1)

خروج يأجوج ومأجوج

قال تعالى:«حَتّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»أي يسرعون في المشي إلى الفساد ، والحدب هو المرتفع من الأرض .

ويكون خروجهم بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال بلا خلاف على هذا الترتيب ثم يوحي الله إلى عيسى عليه السلام:(أن حرز عبادي إلى الطور فإني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحدهم بقتالهم)كما سيأتي في الحديث إن شاء الله.

ويأجوج ومأجوج من ولد «يافث بن نوح»عليه السلام ، وهذا على الراجح.

77 -وأخرج الحاكم من طريق عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا » .

وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام مثله موقوفا.

قلت:إن صح هذا فمعناه طول أعمارهم في سابق الأزمان حتى أن الواحد منهم لا يموت حتى يرى من أولاده وأولاد أولاده ألفا فصاعدا .

1- الأنبياء : 96.

78 -وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«ولد لنوح سام وحام ويافث ،فولد لسام العرب وفارس والروم،وولد لحام القبط والبربر والسودان ،وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة »قال ابن حجر:وفي سنده ضعف.

قلت : إلا أن له شواهد من التاريخ والله أعلم .

قال ابن حجر:« ووقع في فتاوى الشيخ محيي الدين : يأجوج ومأجوج من أولاد آدم من غير حواء ، فيكونون إخواننا الأب » .

قال ابن حجر:كذا قال ولم نر هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح،ونوح من ذرية حواء قطعا » انتهى فتح ج 13 ص 107.

وقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى عليه السلام قال :

«ثم يأتيه قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم،ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هم كذلك،إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم،- يعني لا طاقة- فحرز عبادي إلى الطور - يعني حَصِّنهم هناك -ويبعث يأجوج ومأجوج ،فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ،ويمر آخرهم فيقولون:لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصرنبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل عليهم النغف-يعني دودا يكون في أنوف الإبل -في رقابهم فيصبحون فرسى- أي موتى-كوت نفس واحدة،ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا

يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيرا كأعناق البخت فتحملهم حيث شاء الله،ثم يرسل الله مطرا لا يكَنُّ مِنهُ مـدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة-يعني كالمرآة -ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها،فبينما هم كذلك،إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم،فتقبض روح كل مؤمن ومسلم،فيبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر-يعني يأتي الرجال النساء علانية دون ستركالحمير -فعليهم تقوم الساعة وقد مضى برقم (73) تاما .

وفي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

79 -«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله »أخرجه مسلم.وفي رواية للإمام أحمد بسند صحيح .

80- «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله » .

81- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هـذه ، وعقد بيده تسعين »أخرجه مسلم.قال ابن حجر : « وعقد التسعين أن يجعل طرف السبابه اليمني في أصلها ويضمها ضما محكما بحيث تنطوي عقدتاها حتى تصير مثل الحية المطوقة ، ونقل ابن التين عن الداودي أن صورته أن يجعل السبابة في وسط الإبهام »انتهى فتح الباري ج 13 ص 108.

وأخرج ابن ماجة وأحمد وصححه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

«لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وآله، لقي إبراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا الساعة فبدؤوا بإبراهيم فسألوه فلم يكن عنده منها علم ، ثم سألوا

موسى فلم يكن عنده علم ، فرد الحديث إلى عيسى فقال :

«قد عهد إلي فيا دون وجبتها-يعني قبل وقوعها-أما وجبتها فلا يعلمهاإلا الله » ثم ذكر خروج الدجال فقال :

« فأنزل إليه فأقتله » .

ثم ذكر خروج يأجوج ومأجوج ثم دعاءه بموتهم،ثم بإرسال المطر فيلقي بجيفهم في البحر ، ثم تنسف الجبال،وتمد الأرض مد الأديم،فعهد إلي ، إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا ».

82 - وأخرج البخاري عن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل عليها يوما فزعا يقول :

«لا إله إلا الله ، ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، فتخ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ،-وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها-.

قالت زينب : فقلت يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟.

قال : « نعم ، إذا كثر الخبث ».

قال ابن حجر في الفتح ج 3 ص 109 : قوله (إذا كثر الخَبَث) فَسَّروه بالزنا وبأولاد الزنا وبالفسوق والفجور » .

ثم قال رحمه الله : قال ابن العربي:«فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه،وكذلك إذا غير عليه ، لكن حيث لا يجدي ذلك،ويصر الشرير على عمله السيء ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير،ثم يحشر كل أحد على نيته ، وكأن زينب فهمت من فتح القَدر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادي على ذلك اتسع

الخرق بحيث يخرجون،وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكا عاما لهم»انتهى.

من ذو القرنين ؟ ويأجوج ومأجوج ؟

ذو القرنين : هو الملك الصالح الـذي جاء ذكره في سورة الكهف ، وهو الـذي بنى السـد دون يأجوج ومأجوج ليحول بينهم وبين جيرانهم الضعفاء الذين استغاثوا به منهم :

«قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا،قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا »(1)

هذا ما جاء عن بناء السد ، أما مكانه ، ففي الشرق قطقا لقوله تعالى :

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ »(2)

أما مكانه على التحديـد فلعله سور الصـين العظيم – أو سـد آخر كشف بمقربة من « ترمذ » بلد الإمام الترمذي المحدث المشـهور ، والله أعلم .

قال أستاذنا سيد قطب رحمه الله في هامش ص 412 من الجزء الخامس من تفسيره (في ظلال القرآن) ما نصه :

«كشف سـد بمقربـة من مدينة ترمذ»عرف بباب الحديد،وقد مر به في أوائل القرن الخامس عشـر الميلادي العالم الألماني (سـيلد برجر) وسجله في

1- الكهف :94-95.

2- الكهف : 90.

كتابه ، وكذلك ذكره المؤرخ الأسباني «كلافيجو»في رحلته سنة 1403 وقال :

إن سد مدينة باب الحديد على الطريق – سمرقند – الهند – وقد يكون هو السد الذي بناه ذو القرنين » انتهى .

قلت : وسواء أكان هذا أو ذاك،فإنهم على كل حال من شعوب الشرق الأقصى والغالب والأرجح أنهم سكان الصين والله أعلم ،

والدليل على ذلك،أنهم يبلغون اليوم ألف مليون يعني ثلث سكان العالم أو قريبا من ذلك ، وما جاء في الحديث من وصفهم بأنهم يشربون مياه الأنهار حتى إذا مر آخر هم ببحيرة طبرية قالوا :«لقد كان بهذه مرة ماء ».

ويدل لذلك أيضا أمر الله تعالى لعيسى عليه السلام أن يحرز المسلمين إلى الطور لأنه لا قدرة لأحد على قتالهم .

ويـدل لذلك أيضا أنهم كفرة فجرة إذا انتهوا من أهل الأرض قالوا تعالوا نناجز رب السـماء ، كما جاء في الحديث،وهذا متحقق في شـيوعي الصين الماركسيين،والله أعلم .

أما ذو القرنين ، فقيل:إنه نبي ، وقيل : بل هو ملك صالح .

وسواء أكان هذا أم ذلك،هل هو الإسـكندر اليوناني باني الإسـكندرية ،أم هوملك سابق عليه ، كان من ملوك اليمن ،وكان معاصـرا لإبراهيم عليه السلام ؟.

قال بُكُل بعض العلماء والله أعلم بالحقيقة .

أما احتجاج أستاذنا سيد قطب رحمه الله على أن ذا القرنين ليس هو المقدوني المعروف لأنه كافر والمذكور في القرآن مؤمن جيد الإيمان ، فهو

احتجاج ضـعيف،لأن مسـتندنا في كفر المقـدوني هو التاريخ،والتاريخ ظني الدلالة لا يطمئن القلب إلى ما قصه علينا،وحسـبنا دليلا على ظنية التاريخ وعدم الثقة به،أنه لم يحدثنا عن إبراهيم وموسـى وعيسـى عليهم الصـلاة والسـلام ، بل قصة موسى مع فرعون ، ثم نجاة موسى عليه السـلام بقومه وهلاـك فرعون وجنوده،هـذه الحقـائق التي حـدثنا بها القرآن من المفروض أن تكون تاريخيا ذائعـة شائعـة،ولكنها على العكس من ذلك مطموسة ضائعة .

وهذا من أقوى الأدلة على ظنية التاريخ والحمد لله ولم يبق إلا أن نستأنس بما جاءنا عن سلفنا الصالح والله الموفق والهادي للصواب .

قال ابن حجر في الفتح ج 6 ص 382 ما نصه :

«روى الفاكهي من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين أن ذا القرنين حج ماشيا ، فسمع به إبراهيم فتلقاه ».

ومن طريق عطاء عن ابن عباس:«أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إبراهيم وصافحه » .

ومن طريق عثمان بن ساج «أن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له »، فقال : كيف وقد أفسدتم بئري ؟ يعني بئر زمزم .

فقال:«لم يكن ذلك عن أمري » يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغيرإذني .

وذكر ابن هشام في التيجان«أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء فحكم له » .

قال ابن حجر:«فهذه الآثار يشد بعضها بعضا » .

قلت : وهي تدل على أن ذا القرنين كان معاصرا لإبراهيم عليه السلام ،

وأنه قدم للحج حين نادي إبراهيم الناس ليحجوا ، عملا بأمره تعالى :

«وَأَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»(1)

وقد استدل ابن حجر بهذا على أن ذا القرنين المذكور في القرآن ليس هو الإسكندر لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام وبينه وبين إبراهيم قريبة من ألفي سنة والله أعلم .

وقال الفخر الرازي في تفسيره:«كان ذو القرنين نبيا »وكان الإسكندر كافرا ، وكان معلمه أرسطو طاليس ، وكان يأتمر بأمره ،وهو من الكفار بلا شك » .

قال ابن حجر:«وشبهة من قال إن ذا القرنين هو الإسكندر ما أخرجه الطبري ومحمد بن ربيع الجيزي في كتاب (الصحابة الذين نزلوا مصر)بإسناد فيه ابن لهيعة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذي القرنين فقال :

83 -«كان من الروم فأعطى ملكا فصار إلى مصر،وبني الإسكندرية فلما فرغ أتاه ملك فعرج به ، فقال : انظر ما تحتك ، قال : أرى مدينة واحدة ، قال : تلك الأرض كلها ، وإنما أراد الله أن يريك ، وقد جعل لك في الأرض سلطانا ، فسر فيها ، وعلم الجاهل وثبت العالم ».

قال ابن حجر : « وهذا لو صح لرفع النزاع ، ولكنه ضعيف ، والله أعلم »انتهى .

قلت : تضعيفه من أجل أن فيه ابن لهيعة تعنت،فإن عبد الله بن لهيعة حسن الحديث على أرجح ما قيل ، وعليه يعتبر الحديث السابق في مرتبة

1- الحج : 27 .

الحسن ما لم تكن فيه علة أخرى غير ابن لهيعة ،ويصح الاحتجاج به على أن ذا القرنين هو الإسكندر المعروف وأنه كان ملكا صالحا ، وهو ما أرجحه والله اعلم.

هل فتح السد ؟ وهل خرج يأجوج ومأجوج ؟

أما أن السد قد فتح،فقد فتح منه قدر يسير بنص قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله، وذلك في حديثين ، الأول روته أم المؤمنين زينب رضي الله عنها، والثاني رواه أبو هريرة وأخرجه الشيخان وأخرج البخاري حديث زينب .

وقد أوردت الحديثين برق (81 – 82) وفي الأول يقول رسول الله صلى الله عليه وآله« ويل للعرب ، من شر قد اقترب،فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه « وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها ».

قالت : « فقلت يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون » ؟

قال:«نعم ، إذا كثر الخبث »يعني المعاصي والفجور .

وهذا صريح في ابتداء انشقاق السد إلى أن يأذن الله لهم بالخروج زمن عيسى عليه السلام .

ولكن ، هذا الخروج زمن عيسى عليه السلام هو الاجتياح الأكبر الذي هو من علامات الساعة الكبرى،ولا يمتنع أن يكون لهم قبل ذلك خرجة يفسدون فيها،ويهلك بسببها المسلمون ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« ويل للعرب من شر قد اقترب ».

وقالت زينب : « أنهلك وفينا الصالحون » ؟

وأرى والله أعلم،أن خرجتهم تلك قد وقعت باجتياح المغول والتتار للممالك الإسلامية وتدمير بغداد واستباحتها وقتل الخليفة المستعصم وآله حتى أنهم قتلوا في بغداد وحدها قريبا من ثمانمائة ألف نفس،وكانت أعدادهم عند الغزو لا حصر لها،ولكن ، هذا الخروج الذي حصل في أوائل القرن السابع للهجرة ليس هو الخروج الأخير يقينا،وإنما هو دونه ، اقتضته الحكمة الإلهية عقوبة للمسلمين حين كثرت فيهم المعاصي والفجور، فكان ذلك تطهيرا لهم لعلهم إلى الله يرجعون ، وقد كان والحمد لله .

ويشبه هذا الاجتياح المغولي للممالك الإسلامية والقضاء على الخلافة العباسية ،يشبه اجتياح الدول الغربية للدول الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر،وأوائل القرن العشرين ، وانتهى ذلك بالقضاء على الخلافة الإسلامية متمثلة في آل عثمان .

وكما كان الهلاك الأول عقوبة عندما كثر الخبث،فكذلك الهلاك الأخير،فلعلنا ندرك سر العقوبة،وسبب الهلاك ، فنعود إلى الله ونطهر نفوسنا وبلادنا من الخبث فلعل الله يرحمنا، ويعيد لنا الكَرَّة على أعدائنا ، وصدق الله العظيم :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »(1)

رأي الاستاذ سيد قطب رحمه الله

يرى الأستاذ سيد قطب رحمه الله من باب الترجيح لا من باب اليقين أن خروج يأجوج و مأجوج قد تم بغزوهم للممالك الإسلامية في أوائل القرن السابع للهجرة،وأن خروجهم هذا من علامات الساعة الكبرى كما جاء في قوله

1- الرعد : 11 .

تعالى :

«حَتّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ»(1).

قال رحمه الله في الظلال (طبعة الحلبي ج 5 ص 413).

«هذا النص كذلك لا يحدد زمانا معينا لخروج يأجوج ومأجوج ،فاقتراب الوعد الحق بمعنى اقتراب الساعة ، قد وقع منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله فجاء في القرآن :«اقتَرَبَتِ الساعةُ وانشقَّ القَمَر ».

«والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر » إلى أن قال رحمه الله :

(وإذن ، فمن الجائز أن يكون السد قد فتح في الفترة ما بين:(اقتربت الساعة)ويومنا هذا ،و تكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج ».

ثم ذكر رحمه الله حديث زينب المذكور ثم قال :

«وقد كانت هذه الرؤية – أي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح جزء من السد– منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، وقد وقعت غارات التتار بعدها،ودمرت مدن العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد(هولاكو) في خلافة المستعصم آخر ملوك العباسيين وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول صلى الله عليه وآله،وعلم ذلك عند الله وكل ما نقوله ترجيح لا يقين»انتهى.

قلت : وما أحسن ما ختم به قوله رحمه الله،«وعلم ذلك عند الله ، وكل ما نقوله ترجيح لا يقين ».

1- الأنبياء : 96 .

بـل اليقين الـذي لاشك فيه أن خروج يأجوج ومأجوج الـذي ورد في القرآن على أنه من علامات الساعـة ، وجاء في الأحاديث الصـحيحة كـذلك، هذا الخروج لم يقع بعد، لأن من أبرز علامات هذا الخروج معاصـرته لزمن نزول عيسـى عليه السـلام، ويهلكهم الله عزوجل ببركة دعـاء عيسـى وأصـحابه فيرسل عليهم دودا في رقابهم فيموتون جميعا كنفس واحـدة، هـذا جاءت الأحاديث الصـحيحة المقطوع بصـحتها والحمد لله .

لـذلك فإن احتمال كون الغزو المغولي هو الخروج الكبيرغير وارد البتة، وإنما هو خروج جزئي تنبأ به رسول الله صـلى الله عليه وآله بقوله « ويل للعرب ، من شر قد اقترب ».

وكان ذلك عقوبة حين كثر الفساد كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين سألته زينب : « أنَهلِكُ وفينا الصالحون » ؟.

قال : « نعم إذا كثر الخَبَثُ».

وهذا هو اليقين والحمد لله رب العالمين.

***

الفصل السادس: طلوع الشمس من المغرب

اشارة

«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا »(1)

طلوع الشمس من المغرب وأثر ذلك

قال تعالى :«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ»

وقد جاء بيان هذه الآية –التي يغلق معها باب التوبة–عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالأحاديث الصحيحة المتواترة،وهي على القطع طلوع الشمس من المغرب،فإذا طلعت يختم على كل قلب بما فيه ،ونسأل الله العافية .

وهي على الترتيب تلي وفاة عيسى عليه السلام،ثم الدابة،ثم الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين ، ثم النار التي تسوق الناس إلى محشرهم ، ثم الساعة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد جاء في طلوع الشمس من مغربها أحاديث كثيرة أذكر بعضها إن شاء الله ، والله المستعان.

86 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس،آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا »أخرجه البخاري ومسلم .

1- الأنعام : 158

85 –وأخرج الشيخان عن أبي ذر الغفاري حديثا قريبا منه وفيه :

«فيوشك ياأبا ذر أن يقال لها ارجعي من حيث جئت ،وذلك حين (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) »متفق عليه .

وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال :

89– أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله من غرفة ونحن نتذاكر الساعة،فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا ـ تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات:طلوع الشمس من مغربها، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ،وخروج عيسى ابن مريم،وخروج الدجال،وثلاثة خسوف:خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس – أو تحشر الناس–تبيت معهم حيث باتوا ، وتَقِيلُ معهم حيث قالوا»أخرجه أصحاب السنن وقال الترمذي حسن صحيح وأخرج مسلم نحوه .

87 –وعن صفوان بن عَسَّال رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«إن الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة ،لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»أخرجه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجة .

88 – وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

« إن الهجرة خصلتان ،إحداهما تهجر السيئات،والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ، ولا تنقطع ما تُقُبِّلَتِ التوبة ، ولا تزال التوبةُ تَقبَلُ حتى تطلع الشمس من مغربها،فإذا طلعت،طبع على كل قلب بما فيه،وكفي الناس العمل »قال ابن كثير«هذا الحديث حسن الإسناد،ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم » .

وقال ابن كثير في تفسير الآية : فقوله تعالى :

«لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » أي إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فإن كان مصلحا في عمله فهو بخير عظيم،وإن لم يكن مصلحا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة وعليه يحمل قوله تعالى :

«أو كسبت في إيمانها خيرا »أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك . انتهى كلام ابن كثير .

89 – وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ،أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«بادروا بالأعمال ستا ، طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان أوالدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة »مسلم .

قوله:(ستا)يعني قبل أن تفجأكم ستة أمور هي المذكورة في الحديث .

(الدخان) وقع لكفار مكة على الراجح ، وقيل لم يقع بعد .

(الدابة) سيأتي بيانها إن شاء الله .

(خاصة أحدكم) الفتن والعياذ بالله .

90–وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

«حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله حديثا لم أنسه بعد،سمعته يقول:«أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى ،وأيتهما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرى على أثرها قريبا » مسلم .

قلت : قوله صلى الله عليه وآله :

« أول الآيات خروجا طلوع الشمس ...» يعني أول أشراط الساعة الكبرى

المؤذنة بقرب انتهاء العالم قربا عظيما ، فإن طلوع الشمس من المغرب إيذان باضطراب هذا الكون وخراب العالم،وهذا يقين إن شاء الله ، فإن الأحاديث الدالة على سبق نزول عيسى وقتله الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج هذه الأحاديث صحيحة وصريحة،ومن أظهر الأدلة على ذلك أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من المغرب،بينما يقبل الإسلام ممن أسلم في زمن عيسى عليه السلام .

وعلى هذا ينبغي أن يحمل قوله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن سلام :

91 -«أما أول أشراط الساعة ،فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »(1).

فالمقصود من الأولية هنا كونها أولى العلامات الدالة على قيام الساعة وبعدها يكون النفخ في الصور،وسيأتي لذلك مزيد بيان في المبحث الخاص بتلك النار إن شاء الله.

قال ابن حجر في الفتح ج 11 ص 353 .

« الذي يترجح من مجموع الأخبار،أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيرالأحوال العامة في معظم الأرض،وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام،وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة » انتهى.

1- أخرجه البخاري .

الفصل السابع: الدابة

الدابـة خلق من خلق الله ، لا يـدرى كنهها ، ولا يـدرك سـرها ،والله أعلم بحقيقتها.إلا أن الحق الـذي لا مراء فيه ،أنها خارجـة إن شاء الله تعـالى ،لتميز المؤمن من الكـافر،فتخطم أنف الكـافر ، وتجلو وجه المؤمن،حتى يعرف كـل صـاحبه،ولاـ يخفى عليه إيمانه أوكفره،وظاهر الأحاديث يدل على أن خروجها يكون بعد وفاة عيسـى عليه السـلام،إما قبل طلوع الشمس من مغربها بقليل أو بعدها بقليل ،والله أعلم أي ذلك كائن ،ويدل لذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو :

قال:حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله حديثا لم أنسه بعد،سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

92 – «إن أول الآيات خروجا:طلوع الشمس من مغربها،وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها ،فالأخرى على أثرها قريبا » .

وقد مضى برق (90) مع شرحه .

قال الألوسي في تفسيره ج 20 ص 21:«والحق أنها تخرج وفي الناس مؤمن وكافر»ويدل على ما ذكرنا من الحق،ما أخرج أحمد والطيالسي ونعيم ابن حماد وعبد بن حميد والترمذي وحسـنه ،وابن ماجة وابن جرير،وابن المنذر،وابن أبي حاتم ،وابن مردويه ،والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

93 –«تخرج دابـة الأرض،ومعها عصا موسـى،وخاتم سـليمان،فتجلو وجه المؤمن بالخاتم وتخطم أنف الكافر بالعصا،حتى يجتمع الناس على الخوان ، ويعرف المؤمن من الكافر » قال الترمذي حديث حسن .

ثم قال رحمه الله :

94–وأخرج البخاري في تاريخه عن بريدة رضي الله عنه قال :

«ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع بالبادية قريب من مكة ، فإذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«تخرج الدابة من هذا الموضع ، فإذا شبر في شبر» .

قلت : يعني مكان خروجها لا يزيد عن شبر في شبر .

ثم قال رحمه الله :«وقصارى ما أقوله في هذه الدابة ، أنها دابة عظية ذات قوائم،ليست من نوع الإنسان أصـلا،يخرجها الله تعالى آخر الزمان من الأـرض ،وفي تقييـد إخراجها بقوله سـبحانه : (من الأرض)نوع إشارة – على ما قيل – إلى أن خلقها ليس بطريق التوالـد،بل هو بطريق التولد » انتهى كلام الألوسي .

وقال ابن كثير في تفسيره ج 2 ص 682 من المختصر :

«هـذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس،وتركهم أوامر الله،وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض،قيل من مكة ، وقيـل مـن غيرهـا فتكلـم النـاس على ذلـك ،قـال ابـن عبـاس والحسـن وقتـادة : تكلمهـم كلامـا «أي تخـاطبهم مخاطبـة»وقـال عطـاء الخراساني:تكلمهم فتقول لهم :(إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون).

ويروى هذا عن طريق علي رضي الله عنه ،واختاره ابن جرير الطبري .

انتهى كلام ابن كثير .

ص: 98

قلت : والظاهر والله أعلم أن خروج الدابة تال لطلوع الشمس من مغربها ، لأن باب التوبة يغلق بهذا التغيير في نظام الكون ،فتأتي الدابة ،فتميز من كان مؤمنا ،ومن كان كافرا،ثم تأتي الريح الطيبة من قبل الشام أو اليمن فتقبض أرواح المؤمنين ،ولا يبقى على الأرض إلا لكع بن لكع عليهم تقوم الساعة ونعوذ بالله .

ويدل لما قلت من كون آية الطلوع سابقة على آية الدابة ما ذكره ابن حجر في الفتح ج 11 ص 355:

«وعند نعيم بن حماد عن عبد الله بن عمرو قال:«لا يلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلا قليلا ، حتى تطلع الشمس من مغربها ،فيناديهم مناد:«ياأيها الذين آمنوا قد قبل منكم،ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة ، وجفت الأقلام ، وطويت الصحف » .

ومن طريق يزيد بن شريح:«إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها ، وترتفع الحفظة وتؤمر الملائكة ألا يكتبوا عملا » .

وأخرج عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها :

«إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام ،وطويت الصحف،وخلصت الحفظة،وشهدت الأجسام على الأعمال ».

قال ابن حجر:« هذا الأثر وإن كان موقوفا على عائشة فحكمه حكم الرفع » .

ثم قال رحمه الله بعد أن أورد تلك الآثار وغيرها :

«فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل

يمتد إلى يوم القيامة ،ويؤخذ منها أن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بيوم الساعة » انتهى كلام ابن حجر .

قلت :وفي ذلك دليل على أن خروج الدابة على الناس ضحى يلي طلوع الشمس من المغرب ، وأن الساعة من ذلك قريب قربا عظيما بحيث لا يولد عند ذلك مولود إلا وتسبقه الساعة قبل أن يبلغ سن التكليف ،فإن باب التوبة مغلق إلى يوم القيامة،والعدل الإلهي يأبى أن يأخذ الولد بجريرة أبيه ،اللهم إلا إذا كان إغلاق باب التوبة على من شهد طلوع الشمس من المغرب لا على غيره . والله أعلم .

***

ص: 100

الفصل الثامن: الريح الطيبة

جاء في آخر حديث النواس بن سمعان الذي رواه مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

«فبينما هم كذلك -يعني ينعمون بخيرات الأرض و بركاتها بعد إهلاك الله يأجوج ومأجوج- إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم،ويبقى شرار الناس،يتهارجون تهارج الحمر،فعليهم تقوم الساعة »(1) .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«فيبعث الله عيسى ابن مريم أنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه -أي الدجال يهلكه الله بيد عيسى عليه للسلام -ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ،ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير- أو إيمان - إلا قبضته ،حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضة ،فيبقى شرار الناس في خفة الطير،وأحلام السباع، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا » (2).

قلت :وهذه الريح الطيبة تكون بعد وفاة عيسى عليه السلام ،فقد جاء في الحديث الصحيح أن عيسى عليه السلام يتوفي بعد أن يمكث في الأرض أربعين سنة ويصلي عليه المسلمون ، فلو كانت هذه الريح في حياته عليه

1- سبق برقم 73.

2- تقدم تاما برقم 74 .

السلام لما وجد من المسلمين من يصلي عليه،فتبين أنها تكون بعد وفاته بسبع سنين كما في حديث عبد الله بن عمرو السابق والله أعلم .

وقد جاء في رواية أبي هريرة عند مسلم :

90 –قال رسول الله صـلى الله عليه وآله «إن الله يبعث ريما من اليمن ألين من الحريرفلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته » أخرجه مسلم.

قلت :في هذا الحديث: « يبعث الله ريحا من اليمن ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو السابق.« ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام » .

في الظاهر تعارض ، وقد أجاب الإمام النووي عن هذا فقال :

«ويجاب عن هذا بوجهين :أحدهما ،يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية .

والثاني : يحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين،ثم تصل الآخر وتنتشر عنده والله أعلم » انتهى .

وقال رحمه الله :

« أما الحـديث الآخر:«لا تزال طائفـة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامـة »فليس مخالفا لهـذه الأحاديث ، لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضـهم هـذه الريـح اللينة قرب القيامة ،وعند تظاهر أشـراطها فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب ، والله أعلم .

«وأما قوله صلى الله عليه وآله :«مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان »ففيه بيان للمذهب الصحيح أن الإيمان يزيد وينقص » .

«وأما قوله صلى الله عليه وآله :«ريحا ألين من الحرير»ففيه والله أعلم إشارة إلى الرفق بهم والإكرام لهم » ... (شرح حديث مسلم ج 2 ص 132).

قلت : وآيـة الريـح هـذه هي الأخيرة في الأشـراط الكبرى المؤذنـة بقرب قيام الساعـة قربا عظيما حتى لكأنها الحامل المتم التي اكتمل لها تسعة أشهر لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلا أو نهارا كما جاء في الحديث رقم (81) من هذه الرسالة .

فـإذا أذن الله بخراب هـذا العـالـم ، والانتقال إلى العالم الآخر،عالم الجزاء والبقاء،تكون أولى العلامات على ذلك نار تخرج من قعر عـدن تسوق الناس إلى محشرهم وسيأتي بيانها إن شاء الله في المبحث التالي والله المستعان .

***

الفصل التاسع: آية النار-وتقارب الزمان

اشارة

ورد في آية النار أحاديث مختلفة،وقد اجتهد العلماء في الجمع بينها ،والله أعلم بالحقيقة .

96- فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الإبل ببصرى »وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:«أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ».

97 - وأخرج مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال :

« اطلع رسول الله صلى الله عليه وآله علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان،والدجال،والدابة وطلوع الشمس من مغربها ،ونزول عيسى ، ويأجوج ومأجوج ،وثلاثة خسوف :خسف بالمشرق وخسف بالمغرب،وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك : نار تطرد الناس إلى محشرهم ».

وفي رواية أبي داود«وآخر ذلك :تخرج نار من اليمن،من قعر عدن ،تسوق الناس إلى المحشر ».

هذا ما جاء في آية النار من أحاديث .

أما الحديث الأول ، وفيه « تخرج نار من أرض الحجاز... » فقد مضى هذا وانقضى .

قال القرطبي في التـذكرة:«قـد خرجت نار بالحجاز بالمدينة،وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة،واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت » انتهى .

قال ابن حجر في الفتح ج 13 ص 79 معقبا على ذلك :

«والـذي ظهر لي أن النار المـذكورة في حـديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي،وأما النار التي تحشـر الناس فنار أخرى »انتهى كلام ابن حجر . قلت : وليس المقصود بالحشـر هنا حشـر الآخرة ، فذلك إنما يكون بعد البعث،ولكنه حشر آخر يكون قرب قيام الساعة لحكمة يعلمها رب العباد .

وأما اختلاف الرواية من المشـرق إلى المغرب(وفي بعض الأحاديث من قعرعدن تسوق الناس إلى المحشر)فقد وفق ابن حجر بينهما بقوله في الفتح ج 11 ص 378 :

«وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشـرها الناس من المشـرق إلى المغرب،وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عـدن،فـإذا خرجت ، انتشـرت في الأـرض كلهـا ، والمراد بقوله «تحشـر الناس من المشـرق إلى المغرب »إرادة تعميم الحشـرلا خصوص المشرق والمغرب،أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق»انتهى .

قلت : هذا ما محصل من الجمع بين الأحاديث،أما حقيقة تلك النار،وكيفية حشرها الناس، فلا يعلمه إلا الله .

تقارب الزمان

أما تقارب الزمان ،فهو من العلامات المؤذنة بقيام الساعة،إلا أنه لم يردفيه حديث يبين موعده بين الآيات السابقة،فالله أعلم متى يكون ...

وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

98 -«إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان ،وينقص العلم ،وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج ».

قالوا : يا رسول الله ، وما الهرج ؟ قال : « القتل ، القتل » .

قلت : قد فسر ابن الأثير تقارب الزمان بأنه كناية عن قصر الأعمار وقلة البركة فيها،قال:« وقيل : وهو أن الزمان يتقارب حتى تكون السنةكالشهر،والشهركالجمعة،والجمعة اليوم ، واليوم الساعة ،والساعة كاحتراق السعفة ».

قلت : وهذا التفسير الأخير هو الأصح والله أعلم،فقد ورد فيه حديث ضعيف إلا أن حديث الشيخين يشهد له بالصحة والله أعلم .

99 -فقد أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر الجمعة وتكون الجمعة اليوم ،ويكون اليوم كالساعة ،وتكون الساعة كالضرمة من النار »أخرجه الترمذي وقال غريب .

قلت :وليس ببعيد أن يجعل الله الأرض تسرع في دورانها حول نفسها فيتقارب الزمان علامة على خراب العالم كما جعل طلوع الشمس من مغربها علامة على قرب خرابه كذلك والله على كل شيء قدير .

الخسوفات الثلاثة

أما الخسوفات الثلاثة التي جاءت في الحديث رقم (97) «خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ».

فالظاهر أنها نوع من الخسف يغاير ما نعهده مما يقع كثيرا منه في العالم ، بل لا يكاد يمضي عام إلا ونسمع بزلزال أو ثورة بركان في المشرق أو المغرب،فلعل المراد والله أعلم ، الخسف الـذي يحـدث نتيجة حرب نووية تدمر الحضارة في الشـرق والغرب على السواء أما الخسـف الذي يقع بجزيرة العرب فلعله المذكور في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

100 -«يغزو جيش الكعبة ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم ».

قالت عائشة : قلت « يارسول الله ، كيف يخسف بأولهم وآخرهم ،وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم».

قال:«يخسف بأولهم وآخرهم ، ثم يبعثون على نياتهم »متفق عليه واللفظ للبخاري .

وقـد ذكر أبو الفرج الجوزي في كتاب(فهوم الآثار)أنه قد وقع خسف بالعراق والمغرب ، وهلك بسـبب ذلك خلق كثير،وهذا صـحيح،ولكن هل هذا هو الخسف المراد بالحديث المذكور أم هو كسائر ما يقع بالأرض من خسوفات ؟

الظاهركما قلت أن الخسف المراد ،والذي هو من أشراط الساعة لم يقع بعد ، ونسأل الله العافية.

النفخ في الصور

النفخ في الصور،قيام الساعة ،وخراب لهذا العالم الفاني،وعمارة لذلك العالم الباقي،عالم الآخرة،عالم توضع فيه الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا،وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .

قال تعالى :«وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ،مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ،فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ»(سورة يس الآيات : 48-50).

وهذه هي النفخة الأولى التي يصعق فيها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله من الملائكة المقربين،ثم يتوفاهم ليتحقق قوله سبحانه :

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(سورة الرحمن الآيتان : 26 – 27) .

وقوله سبحانه :«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ »(سورة القصص الآية :88).

وقوله :«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»(سورة آل عمران الآية : 185) .

ثم يحي الله إسرافيل عليه السلام صاحب الصور،ويأمره بنفخة البعث ،فإذا هم قيام ينظرون .

وهذا كما قال تعالى :«وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ،قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ»(سورة يس الآيتان : 51 – 52) .

وبين النفختين أربعون ولا يدري ، أربعون سنة أو أربعون شهرا ، أو

أربعون يوما والله أعلم أي ذلك كائن ،والأحاديث التي حددت المدة بالسنين فيها مقال ، والحديث الصحيح لم يعين .

فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

101 -«قال رسول الله صلى الله عليه وآله:«ما بين النفختين أربعون »قيل :«أربعون يوما ؟».

قال أبو هريرة:«أبيت»يعني أبيت أن أعين .

قالوا :«أربعون سنة ».

قال : « أبيت » .

قال أبو هريرة :«ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا بلي ، إلا عظم واحد،وهو عجب الذنب،منه يركب الخلق يوم القيامة »متفق عليه .

قلت : قوله صلى الله عليه وآله :

« وليس من الإنسان شيء إلا بَلِيَ،إلا عظم واحد وهو عَجبُ الذَّنَب » .

ولمسلم:«إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا ،منه يركب يوم القيامة ».

قالوا:«أي عظم هو يارسول الله ؟».

قال : « عجب الذَّنَب ».

قلت:هذا من المشكلات،فإن المشاهد أن الإنسان كله يبلى وإن تأخر عظمه عن لحمه،و الحديث صحيح متفق على صحته ، ورسول الله صلى الله عليه وآله صادق ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى،والخروج من هذا الإشكال مبسوط في كتابي (حقيقة الإنسان).

إن المراد«بعجب الـذنب »ليس هو « عظم العصـعص »ولكنه « الـذرة الأصـلية »التي انحـدرت إلينا من أبينا آدم عليه السـلام،ومنها خلق الإنسان ، وهي في غاية الصغر بحيث احتوى صلب آدم عليه السلام على كافة ذرات ذريته ، وأوصلها بإذن الله إلينا بالتناسل .

ويدل لما قلت الحديث الصحيح،عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال :

102 -«إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السـلام بنعمان يوم عرفة،فأخرج من صـلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه كلمهم قبلا -يعني كلمهم ربهم مواجهة-».

قال:(ألست بربكم ؟).

قالوا:(بلى شهدنا)أخرجه أحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك .

ويدل لما قلت أيضا من أن الإنسان خلق من تلك الذرة الأصـلية ما أخرجه مسـلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضـي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

103 -«كل ابن آدم تأكله الأرض،إلا عجب الذنب ،منه خلق ، ومنه يركب »والشاهد في الحديث قوله :(منه خلق) .

ومعلوم قطعا أن الإنسان لم يخلق من عظم العصعص،وإنما من النطفة ،فتكون الذرة الأصلية كامنة في النطفة ، والله أعلم .

***

الباب الثالث

اشارة

«اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون »الآية الأولى من سورة الأنبياء

قرب قيام الساعة

يراد بقيام الساعة أمران :

الأول:قيام ساعة كل إنسان الخاصة به،وساعة كل إنسان موته .

الثاني:الساعة الكبرى،يعني خراب هذا العالم الدنيوي والانتقال إلى ذلك العالم الأُخرَوِي لتجزى كل نفس بما تسعى .

ومما جاء في المعنى الأول لقيام الساعة ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت:

104-«كان الأعراب إذا قَدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وآله سألوه عن الساعة ،متى

الساعة ؟

فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول :

«إن يَعِش هذا لم يدركه الهرم ،حتى قامت عليكم الساعة »متفق عليه .

وواضح أن رسول الله صلى الله عليه وآله صرفهم عن الاهتمام بأمر الساعة الكبرى،إلى تدبرأمر ساعتهم يعني موتهم ،ومن مات فقد قامت قيامته ، والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار،وأولى بالإنسان أن يستعد لما هو قريب ويتجهز للموت بإحسان العمل،وإخلاص النية ،من أن يضيع وقته بالسؤال عن الساعة الكبرى ومتى تكون .

ويوافق الحديث السابق ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

105 - «أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله : متى الساعة ؟

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شَنَوءة، فقال:« إن عمر هذا الغلام لم يدركه الهرم ، حتى تقوم الساعة ».

قال أنس : « وذلك الغلام من أترابي يومئذ».

قلت هذا ما جاء في الساعة بمعناها الأول ،أما ما جاء بمعناها الثاني وهو خراب هذا العالم فأحاديث كثيرة لا تكاد تحصى،ومقصودي الآن إثبات قرب ذلك اليوم قربا عظما حتى لأ خشى على حفدتنا أن يشهدوها ،وأسأل الله أن يجنبنا وذرياتنا شهود ذلك اليوم الذي لا يكون فيه حيا إلا من غضب الله عليه ولعنه ولا تجدوا أحدا منهم يقول«لا إله إلا الله»كما جاء في الحديث الصحيح .

فنسأل الله العافية لنا ولمن وراءنا من الذرية اللهم آمين .

وأعود إلى تبيين قرب قيام الساعة بما صح من الأحاديث ، وما يشاهد من الأحوال فأقول والله المستعان :

متى الساعة ؟

أما علم وقتها على التعيين ، فأمر لا يعلمه إلا الله ، وهذا كما قال تعالى :

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ

اللّهِ وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»(1).

هذا في علم وقتها على التحديد .

أمـا وقتهـا على التقريب،فأمر ممكن إن شاء الله ولا مانع منه شـرعا،بل قـد جاءت الأحاديث الصـحيحة ،مصـرحة بقربها ،وبيان أشـراطها الصغرى والكبرى ،حتى لكأننا نراها رأي العين ، والحمد لله رب العالمين .

وعليه،فإننا إذا خضنا في بيان قرب الساعة ،واجتهدنا في التعرف على وقتها على وجه التقريب ، وذلك باستقراء ما وقع من علاماتها ،لا نكون بذلك باحثين عما لا يعنينا ،ولا متكلفين ما لا طاقة لنا على العلم به،والله الموفق والهادي للصواب .

قال ابن حجر في قوله صلى الله عليه وآله :

«بعثت أنا والساعة كهاتين »قال : ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى :«إِنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ »(2) .

لأن علم قربها لا يستلزم علم وقت مجيئها مُعَيَّنًا ، انتهى فتح ج 11 ص 350 قلت :وهذا ما سأسلكه في البحث إن شاء الله ،فأثبت قربها وأجتنب بيان وقتها وأفوضه إلى علام الغيوب ، فأقول :

تقـدم في الباب الأول من هـذه الرسالة أحاديث كثيرة تدل على قرب قيام الساعة ولا أطيل باعادتها،وإنما أكتفي بذكر بعضـها والإشارة إلى البعض الآخر.

ولعل أصرح حديث ورد في المسألة ما أخرجه الترمذي والطبري عن المستورد بن شداد :

1- سورة الأعراف : 187 .

2- سورة لقمان : 34 .

«بعثت في نفس الساعة ،سبقتها كما سبقت هذه لهذه »وأشار لإصبعيه ،السبابة والوسطى .

قال ابن حجر : وقوله (في نفس)كناية عن القرب ، أي بعثت عندتنفسها .

وقال ابن الأثير في النهاية .

« بعثت في نفس الساعة »أي بعثت وقد حان قيامها وقَرُبَ ،إلا أن الله أخرها قليلا ، فبعثني في ذلك النفس ، فأطلق النفس على القرب ».

قال:«وقيل : معناه أنه جعل للساعة نفسا نفس الإنسان ،أراد أني بعثت في وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان إذا قرب منه،يعني بعثت في وقت بانت فيه أشراطها وظهرت علاماتها » انتهى .

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

106 -«بعثت أنا والساعة كهاتين ، كفضل إحداهما على الأخرى » .

وضم السبابة والوسطى قلت:ومعنى قوله (كهاتين)مشيرا إلى السبابة والوسطى يضمهما يعني بذلك صلى الله عليه وآله أن ما بقي من عمر الدنيا بالنسبة لما انقضى منهما كما زادت الوسطى على السبابة في الطول،يعني قريبا من الخمس ، فشبه عمر الدنيا من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة بالإصبع الوسطى،وشبه ما مضى إلى عهده صلى الله عليه وآله بالسبابة وهي الشاهد، فيكون فرق ما بينهما في الطول هو الزمن الباقي على قيام الساعة .

قال القاضي عياض وغيره .

«أشار هذا الحديث على اختلاف ألفاظه إلى قلة المدة بينه وبين الساعة » .

قال القرطبي في « الْمفهِم » :

«حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها ».

وقال في « التذكرة »:

ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه ، لكن سياقه يفيد قربها، وأن أشراطها متتابعة كما قال تعالى :

(فقد جاء أشراطها) انتهى .

وأورد الإمام الطبري في مقدمة تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنها قال :«الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة »(1).

قلت:في سنده يحيي بن يعقوب وحماد بن أبي سليمان فيهما مقال ،هذا مع أنَّ أبا حاتم قال في يحي « محله الصدق » (انظر الميزان رقم 9656).

أما حماد،فهو فقيه الكوفة وثَّقه ابن مَعِين وغيره (انظر الميزان رقم 2253)وعليه فيكون الحديث صحيح الإسناد عن ابن عباس إلا أنه موقوف عليه وقد رجحه الطبري على ما عداه مما جاء عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وفيه أن الدنيا ستة آلاف سنة مضى منها خمسة آلاف وستمائة سنة .

ثم أورد ابن جرير حديث ابن عمر الذي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «ما أَجَلُكم في أجَل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس »قال ابن حجر في الفتح ج 11 ص 351.

« حديث ابن عمر–المذكور–صحيح متفق عليه فالصواب الاعتماد عليه وله محملان :

1- وجه الاحتجاج بهذا الأثر عن ابن عباس أنه مما لا يعلم بالرأي فيحمل على السماع ، أو أنه مما آتاه الله من علم لدنى ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

أحدهما:أن المراد بالتشبيه التقريب ، ولا يراد حقيقة المقدار .

والثاني:أن يحمل على ظاهره ، ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خمس النهار تقريبا انتهى .

قلت : وعليه ،فإن صح كلام ابن عباس أن عمر الدنيا سبعة الآف سنة ،وما قاله ابن حجر في تفسير الحديث السابق أن مدة هذه الأمة قدر خمس النهار ، إن صح هذا وذاك ،فنحن إن شاء الله على أبواب الساعة الكبرى ،وفي انتظار أول علاماتها التي إن ظهرت تسلسلت وتتابعت كحبات العقد إذا انفرط ،وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال الألوسي في (روح المعاني) ج 26 ص 53:

«ومن وقف على الكتب المؤلفة في هذا الشأن واطلع على أحوال الزمان رأى أن أكثر هذه العلامات قد برزت للعَيَان وامتلأت منها البلدان ،ومع هذا كله ، أمر الساعة مجهول ، ورداء الخفاء عليه مسدول ».

ثم قال رحمه الله : «قال الجلال السيوطي في رسالة سماها الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف :

«الذي دلت عليه الآثار،أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف سنة ، ولا تبلغ الزيادة عليها ألف سنة » -يعني ثانية -وبنى الأمر على ما ورد من أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله بعث في آخر الألف السادسة » .

ثم قال « وأفرد الحافظ السيوطي - أفرد رسالة لذلك كله ، وقال :

« تقوم الساعة في نحو الألف والخمسمائة ».

قلت : وهذا كله تقريب لا تحديد ،ومبناه على غلبة الظن لا على اليقين .

ص: 116

ولكن اليقين الذي لا شك فيه أننا من الساعة قريب ، وداعي الحق ينادي ولا مجيب ، وقد مضت جميع علامات الساعة الصغرى وانقضت ، و« اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون».

ما المراد بعمر الدنيا

تقدمت الأحاديث الصحيحة في تقدير ما بقي من عمر الدنيا بمقدار الخمس تقريبا ، وذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

إلا أن الإشكال في تحديد البداية .لنطرح الأربعة أخماس وننظر كم بقي من الخمس الباقي .

فمعنا الآن أربعة مطالب :

المطلب الأول :إثبات أن ما بقي من عمر الدنيا يساوي الخمس .

المطلب الثاني : إثبات أن المراد بعمر الدنيا هو«عمر البشرية» لا عمر«الكون»أو«الأرض ».

المطلب الثالث : إثبات أن ما مضى من عمر البشر من عهد أبينا آدم عليه السلام إلى يومنا هذا لا يزيد عن سبعة آلاف عام .

المطلب الرابع :تقدير وقت قيام الساعة بالتقريب بناء على تحقيق المطالب الثلاثة السابقة .

أما تحقيق المطلب الأول:فقد تقدم بإيراد الحديثين الصحيحين أحدهما عن ابن عمر بلفظ :

« ما أجلكم في أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس »متفق عليه .

وروي من طريق مجاهد عن ابن عمر بلفظ :

«كنا عند النبي صلى الله عليه وآله والشمس على قعيقعان مرتفعة بعد العصر فقال:

« ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه »رواه أحمد بسند حسن و(قعيقعان) جبل بمكة .

والحديث الثاني : أخرجه الشيخان كذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«بعثت أنا والساعة كهاتين ،كفضل إحداهما على الأخرى »وأخرجاه كذلك عن سهل بن سعد الساعدي قال :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله قال بإصبعيه هكذا:الوسطى والتي تلي الإبهام،وقال : بعثت أنا والساعة كهاتين » متفق عليه .

فهذان حديثان اتفق على صحتهما البخاري ومسلم وهما صريحان في كون ما بقي من عمر الدنيا يساوي الخمس تقريبا .

أما الأول : فجعل الباقي كما بقي من النهار حين آذنت الشمس بالمغيب بعدصلاة العصر .

وأما الثاني : فجعل الباقي كما بقي من السبابة لتلحق بالوسطى .

والتقديران متقاربان والحمد لله ، ولا خلاف .وبهذا يتحقق المطلب الأول .

أما تحقيق المطلب الثاني :وهو إثبات أن المراد بعمر الدنيا هو مدة حياة البشر من عهد آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة ، فيدل لذلك قوله صلى الله عليه وآله في الحديث المذكور سابقا :

« ما أجلكم في أجل من كان قبلكم..».

وفي رواية : « ما أعمارك في أعمار من مضى..».

وجه الاستدلال : أنه صلى الله عليه وآله نسب أجل أمته الباقي لها إلى ما مضى من تعمير الأمم السابقة ، ولم ينسب ذلك إلى بداية خلق الأرض ، ومعلوم أن المراد بمن كان قبلنا هم بنو آدم وليس غيرهم ، فثبت بذلك أن المقصود من عمر الدنيا هو عمر البشر وليس عمر الأرض ، وهذا على التحقيق والحمد لله .

ومما يشهد لذلك أيضا أن عمر الأرض قد قدر بالحساب الچيولوچي بثلاثة آلاف مليون سنة فلو كان المقصود بعمر الدنيا عمر الأرض ، وقد مضى منه أربعة أخماس يكون الباقي على قيام الساعة منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله سبعمائة وخمسين ألف عام، مضى منها ألف و أربعمائة ، فانظر ماذا يبقى ؟ ..

ولا يخفى بطلان هذا ومنافاته لبدائه العقول ، وصريح النقول : فثبت القول الأول والحمد لله رب العالمين .

أما تحقيق المطلب الثالث:وهو إثبات أن عمر الدنيا بمعنى حياة البشرعلى هذه الأرض لا يزيد عن سبعة آلاف عام ....

فأشد ما يعارضه ويعكرعليه، هو زعم الزاعمين أنه عُثِرَ على جماجم وعظام بشرية في بعض الكهوف يزيد عمرها عن أربعين ألف سنة ، بل زعم بعضهم أن تاريخ الإنسان على هذه الأرض يعود إلى ألف ألف سنة (مليون).

وأيسر ما أرد به تلك المفتريات،أن الباحثين عن تاريخ الإنسان أنفسهم مختلفون أشدالاختلاف في الحكم على ما عثروا عليه من عظام وجماجم ،هل هي خاصة بجنس البشر،أم تخص مخلوقات أخرى لا يعلمها إلا الله ؟وهل هذا التاريخ الذي قدروه لحياة تلك المخلوقات صحيح أم مبالغ فيه ؟

وفي هذا يقول المؤرخ الفيلسوف(ول ديورانت)في كتابة (قصة الحضارة) ص 11 من الكتاب الأول من المجلد الأول :

«وقد وجد علماء الآثار الفرنسيون في هذا الإقليم –العراق وإيران–آثارا بشرية يرجع عهدها إلى عشرين ألف عام ، كما وجدوا شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها إلى عام (4500) أربعة آلاف وخمسمائة قبل الميلاد ».

ويعقب (ول ديورانت) على هذا بقوله :

يعتقد الأستاذ برستد أن مرجان ، وبمبلي ، وغيرهما قد بالغوا في قدم هذه الحضارة » انتهى .

قلت : هذا مع أن (ول ديورانت) ممن يؤمنون بأن حضارة الإنسان ممتدة عبر عشرات الآلاف من السنين ، وإن لم يكن معه دليل إلا اتباع الظن .

ويدل لهذا التخبط والظن الذي وقع فيه علماء الآثار والمؤرخون قول (ول ديورانت) في كتابه (نشأة الحضارة) ص 177 .

« متى وكيف بدأ الإنسان استخدام المعادن ؟

لسنا ندري ،نقولها مرة أخرى ،وكل ما نستطيع أن نقوله على سبيل الظن،أنه بدأ بفعل المصادفة فلو حددنا هذا التاريخ بسنة (4000) أربعة آلاف قبل الميلاد أو نحوها ، أبصرنا أمامنا صورة لعصر المعادن والكتابة والمدنية لا تمتد إلى أكثر من ستة آلاف عام ، نراها بمثابة الذيل الصغير الذي أعقب عصرا حجريا امتد على وجه الدهر أربعين ألف عام على أقل تقدير ، أو أعقب عمرا طويلا عاشه الإنسان مداه مليون عام » .

قلت:انظر إلى هذا السخف من هؤلاء الناس الذين طلبوا الحقائق من الظن ، وحرموا نعمة الإيمان وتصديق الرسل ....

ص: 120

إنني كمسلم والحمد لله أعتقد أن آدم عليه السلام كان أكثر تحضرا من(ول ديورانت) وأمثاله ، وأن الله عَلّمَه كل شيء ليستطيع الحياة على هذه الأرض،ويحقق فيها معنى الخلافة وهذا كما قال تعالى :

«وَعَلَّمَ آدمَ الأسماء كُلَّها »(1)

وهؤلاء الذين لا يدينون دين الحق يجعلون من آدم وذريته-هذا إذا كانوا يؤمنون به أصلا- يجعلون منهم جهلة لا يعلمون ،بكما لا يتكلمون ، وكفرة بربهم لا يؤمنون ..

هكذا يقول علم تاريخ الأديان،وعلم تاريخ الإنسان،ثم تعلم الإنسان الأول بزعمهم النطق من الطير والحيوان،واكتشفت النار صدفة بعد أن كان يأكل اللحم نيئا،وعبد الطواطم ليتقي بها من شر الطبيعة ، ثم تدرج في الرقي حتى اكتشف المعادن قبل ستة آلاف سنة على الأكثر،و كان اكتشاف المعادن أيضا بطريق الصدفة،بينما عاش الإنسان قبل ذلك أربعين ألف سنة على الأقل -إن لم يكن مليون - عاش في عصور الجهالة والظلام يأوي إلى الكهوف ، ويتخذ أدواته من الحجارة !!

أما من يؤمن بالله واليوم الآخر،ويؤمن بنبوة آدم عليه السلام،وأن الله علمه أسماء كل شيء ، وما أهبطه إلى الأرض إلا وقد علمه وأهله وهيأه للحياة فيها،والتعامل مع ما عليها،والانتفاع بخيراتها وما ادَّخَرَهُ الله فيها ....

من يؤمن بذلك كله،يجزم أن العصر الذي بدأت فيه الكتابة والمدنية والذي قَدَّرُوه ظنا بما يقرب من ستة آلاف سنة قبل الميلاد ،هذا العصر هو بداية تاريخ الإنسان على الأرض ، مع الاختلاف بتقدير الزمن ، إلى ما يوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما الذي ذكرته سابقا عن ابن جرير

1- سورة البقرة : 31.

الطبري ورجحه ، وفيه :

« الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة ».

فإذا مضى أربعة أخماسها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، يكون الباقي على الساعة ألف سنة وأربعمائة ونحن اليوم في عام ألف وأربعمائة من الهجرة فلو كان الحساب الذي قدرته صحيحا ، لوقعت الواقعة في أيامنا هذه ولكننا لم نشاهد من علاماتها الكبرى شيئا حتى الآن فدل ذلك على الخطأ في الحساب والتقدير،وهكذا يصدق قوله تعالى:كما هو حق دائما وأبدا:

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»(1).

قلت :ومما يشهد كذلك لقول ابن عباس في عمر الدنيا،عدد من أرسلهم الله من الرسل إلى الناس ، من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله رسلا مبشرين ومنذرين فإن عددهم ثلثمائة وثلاثة عشر رسولا عدا الأنبياء ،وهذا كما جاء في زاد المعاد لابن القيم ج 1 ص 7 وقال : « رواه أحمد وابن حبان في صحيحه».

فإذا علمنا أن عدد الرسل المكلفين بتبليغ الرسالة لا يزيد عن العدد المذكور وأن أكثرهم كانوا متعاصرين في زمن واحد تقريبا،كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا وعيسى .

كل هؤلاء كان منهم اثنان أو أكثر في زمان واحد، وقد أخبرنا الله في سورة يس أنه أرسل ثلاثة رُسُل إلى قرية واحدة وفي وقت واحد ،

1- الأعراف : 187 .

فقال سبحانه :«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ،إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ»(1).

إذا تبين ذلك نستطيع أن نقدر فترة إرسال أولئك الرسل بالتقريب ،فنقول :

لو أن كل ثلاثة أرسلوا في مدى خمسين أو ستين عاما يعني في كل جيل تقريبا في المعدل تكون المدة من عهد آدم إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وآله قريبة من المدة التي قدرها ابن عباس رضي الله عنهما يعني ستة آلاف عام إلا قليلا ، وهذا يعادل أربعة أخماس ما مضى من عمر الدنيا التي قال ابن عباس فيها:«الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة » .

ومما يشهد كذلك لصحة قول ابن عباس هذا ،أن طوفان نوح لم يتجاوز خمسة آلاف عام في القدم ، ومعلوم أن نوحا أول رسل الله بعد آدم،وأنه عمر ألف سنة إلا خمسين عاما، وعمر آدم قريبا من ذلك،فيكون ما مضى من عمر الدنيا قريبا من سبعة آلاف سنة،فتكون الساعة الكبرى على الأبواب ،وأنه لم يبق لها إلا أشراطها الكبرى التي إن ظهر أولها تسارعت حتى أواخرها ، ويدل لذلك ما العالم عليه من فساد عم البلاد والعباد،والقوة والسلطان بيد أكبر دولتين كافرتين فاجرتين،وأصبح المسلمون اليوم أضيع من الأيتام على مائدة اللئام،ولا أمل ينجي القلة المؤمنة،من طغيان الكثرة الفاجرة،إلا أن يأذن الله بظهور عبده المهدي،ومن ورائه المسيح عيسى رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فيحي به موات العالم ، كما أحيا به من قَبلُ الموتى بإذنه ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

1- يس : 13 - 14 .

وبما قدمت يتحقق المطلب الرابع ، وهو تقدير وقت قيام الساعة متداخلا مع المطلب الثالث وهو إثبات قول ابن عباس في عمر الدنيا،وبذلك نكاد نوقن أننا على مشارف النهاية ، وعلى هذا تشهد كل آية ،فالنذير النذير ،فلم يبق من الحياة إلا قليل .

وصدق الله العظيم :«اقتَرَب للنَّاس حِسَابُهُم وَهُم في غَفلَةٍ مُعرِضُون » .

وخير ما أختم به هذا التحقيق ، قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

107-«كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنى جبهته ،وأصغى سمعه ، ينتظر أن يؤمر فينفخ ».

قال أبو سعيد الخدري:فكأن ذلك ثقل على أصحابه فقالوا:فكيف نفعل يارسول الله ؟ أو نقول ؟

قال:قولوا :حسبنا الله ونعم الوكيل،على الله توكلنا» أخرجه الترمذي وله شواهد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

***

الباب الرابع

من أسرار أشراط الساعة تمهيد الرمزية في الوجود

الرمزيـة في الوجود حقيقـة جليـة ، غير أنها لدقتها على العقول عصـية ، فما من شـيء في الوجود إلا ويشـير إلى معان خفية ، وأسـرار علية ،يعرفها من عرفه الله إياها ،ويجهلها من حجبها الله عنه وأخفاها .

وسأذكر بعض أحاديث تدل على اعتبار تلك الرمزية في الوجود لأعبر من إثبات ذلك إلى بيان طرف من أسـرار أشـراط الساعة وما ترمز إليه من معان دقيقة إن شاء الله .

فقد جاء في صـحيح البخاري أنه لما جاء سـهيل بن عمرو موفدا من كفارمكة للتفاوض في صـلح الحديبية ، قال رسول الله صـلى الله عليه وآله.

108 -«قـد سـهل لكم من أمركم » فكـان رسـول الله صـلى الله عليه وآله فهم بطريـق الرمز والإشـارة ، من اختيـار الله لسـهيل بن عمرو وتسـخيره قريشا ليرسـلوه للمفاوضـة ، فهم من ذلك رسول الله صـلى الله عليه وآله، أن الله قـد قضـى بتيسـير أمر المفاوضـة التي كانت قد تعقدت حتى كادت تنذر بحرب،ولكن الله سَلَّم وسَهَّلَ ، وكان سهيل هو الذي أمضى صلح الحديبية وأنهي بذلك المشكلة التي تعقدت .

وأصرح من ذلك في الرمزية قول رسول الله صلى الله عليه وآله في الصحيح :

109 -«رأيت في منامي كأني في دارعقبة بن رافع ،وأتينا من رطب ابن طاب ، فأولته الرفعة لنا في الدنيا ،والعاقبة لنا في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب ».

فإن قال أحد : هذه رؤيا والرؤيا غالبا ما تأتي بالرمز ، فأقول :

إنما مقصودي إثبات الرمزية وحسب سواء أكانت في المنام أم في اليقظة ،وعلى كل حال ، سأورد إن شاء الله القصة الثابتة التالية التي وقعت يقظة لا مناما ، وفيها ما يلوي عنق الجاحد ، ويقطع إن شاء الله لسان المعاند .

110 -«فقد أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه،أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال :«لألزمن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأكونن معه يومي هذا ؟

فجاء المسجد،فسأل عن النبي صلى الله عليه وآله، فقالوا : « وجه ههنا ».

قال : فخرجت على أثره أسأل عنه ،حتى دخل بئر أريس،فجلست عند الباب،حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وآله حاجته ، وتوضأ ، فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس ،وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ،ودلاهما في البئر ، فسلمت عليه ثم انصرفت ،فجلست عند الباب فقلت«لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وآله ».

فجاء أبو بكر رضي الله عنه ، فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟

قال : أبو بكر .

قلت : على رِسلِكَ .

ثم ذهبت فقلت : « يارسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن » .

فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » .

فأقبلت حتى قلت لأبي بكر:ادخل ورسول الله صلى الله عليه وآله يبشرك بالجنة .

فدخل أبو بكر حتى جلس عن يمين النبي صلى الله عليه وآله في القف(والقف ما يبني حول البئر) ودلى رجليه كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكشف عن ساقيه .

ثم رجعت وجلست،وقـد تركت أخي يتوضـأ ويلحقني ،فقلت : إن يرد الله بفلاـن - يعني أخـاه - خيرا يـأت به ، فـإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟

فقال : عمر بن الخطاب .

فقلت : على رِسلِكَ (يعني تمهل) ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وآله،فسلمت عليه وقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن .

فقال : ائذن له ، وبشره بالجنة .

فجئت عمر ، فقلت : اذِنَ ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة .

فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في القف عن يساره ،ودلى رجليه في البئر .

ثم رجعت فجلست فقلت:إن يرد الله بفلان خيرا -يعني أخاه - يأت به.

فجاء إنسان ، فحرك الباب ، فإذا هو عثمان ، فقلت : على رِسلِكَ .

وجئت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبرته فقال:ائذن له ، وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه .

فجئت إليه فقلت:ادخل ، ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة مع بلوى تصيبك ، فحمد الله وقال : الله المستعان .

فدخل فوجد القف قد مليء ،فجلس وجاههم من الشق الآخر».

قال سعيد بن المسيب : «فأولتها قبورهم » متفق عليه .

قلت : والشاهد في الحديث قول سعيد بن المسيب :«فأولتها قبورهم » .

يعني اعتبر الحادثة رمزا يشـير إلى مكان قبورهـم وأن رسول الله صـلى الله عليه وآله وصاحبيه في حجرة واحدة أما عثان فلم يبق له مكان إلا جوارهـم .

فدفن قُبَالَتَهُم في البقيع رضي الله عنهـم وأرضاه .

وهذا أصرح ما جاء في اعتبار الرمزية وأقواه ، لأنه ليس رؤيا منامية ، ولكنه حادثة واقعية ، والحمد لله رب العالمين .

***

ص: 128

الفصل الأول: الإنسان عالم صغير

اشارة

وتسليما بتلك الرمزية في الوجود قال حكم اؤنا :

« الإنسان عالم صغير »

وقال أحدهم:وتزعم أنك جرم صغير،وفيك انطوى العالم الأكبر،فالعظام ترمز إلى الجبال الرواسي التي لولاها لانهدَّ جسده وأصبح كومة من اللحم ، والدم يعني البحار،والعروق تعني الأنهار ، والشعر يرمز إلى الزرع ،وحيث يتكاثف الشعر في بعض المناطق ، فذلك إشارة إلى الغابات وهكذا .

وقد كتبت ما يشير إلى ذلك في رسالتي «خصائص الأنوثة»وجعلت الأرض في مقابلة الرجل والقمر في مقابلة الأنثى ،وبينت أوجه المشابهة الدقيقة بينهما ، فالحمد لله على ما وفق .

واليوم ، أذكر إن شاء الله،أوجه الشبه بين الكون العظيم وهذا الإنسان الصغير ، فأقول والله المستعان :

الإنسان روح الوجود

الإنسان روح هذا الوجود بل من أجله خلق هذا الوجود كله لذلك فإنه يفني ويبيد حين تجتمع البشرية على الكفر بالله ،والجحود لآياته،كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم«لا تقوم الساعة على رجل يقول : الله الله » .

فإذا فقدت البشرية إيمانها بالله،ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله،فقد فقد الكون روحه الذي يحيا به والذي خُلِقَ من أجله ،وهذا كما خلق الإنسان من أجل أن تسكنه الروح التي هي حقيقة الإنسانية ، ولم يخلق

ليكون مجرد لحم ودم كالحيوان ، فالإنسان خليفة الله على الأرض ،وما استحق تلك المنزلة العالية إلا لأن الله خلقه مؤهلا للنفخة الربانية «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي».

وهذا لا يكون إلا بعد مائة وعشرين يوما من ابتداء الحمل كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان .

ويقابل هذا في الوجود خلق آدم عليه السلام،فكما أن النطقة لما استعدت لاستقبال الروح الإنسانية أرسل الله إليها الملك ونفخ فيها الروح بإذن الله ....

كـذلك لما اسـتعد الكون لاسـتقبال الخليفـة ،قال ربك للملائكـة إني جاعل في الأرض خليفـة فكان الخليفة آدم وذريته في مقام روح هذا الوجود الذي يحيا به إلى أن يرث الله الأرض،ومن عليها وما عليها كما كانت النفخة في الجنين حين اسـتعد لقبولها،روح الإنسان وحقيقته الربانية التي يحيا بها على الأرض، حياته ، إلى أن يتوفاه الله،إما مؤديا حق الخلافة فيسعد ، أو الافيشقى والعياذ بالله.

وتمثل البشرية إلى عهد إبراهيم عليه السلام فترة المراهقة والطيش عند الشباب فلا يستمعون لنصيحة ، ولا يرعوون لحكمة،فيؤدي بهم ذلك إلى الهلاك .

فلذلك لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله ،فكان شأنهم كما قال نوح عليه السلام في كتاب الله :

«وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا»(1).

1- نوح :7.

حتى يئس عليه السلام من إيمانهم وإيمان ذرياتهم بعد تلك المدة المديدة التي قضاها بينهم ، عند ذلك دعا عليهم بالهلاك،فإنهم غير جديرين بالحياة التي ما خلقت إلا للمؤمنين الذين يحققون معنى الخلافة في الأرض .

قال تعالى :«وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا،إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا»(1).

هذا وقد جاء في الأثر أن عدد من آمن مع نوح ونجوا معه في السفينة لا يزيد عن ثمانين من الرجال والنساء وهذا حصيلة ألف سنة من الدعوة .

ولم تكن الأمم التالية السابقة على إبراهيم عليه السلام أحسن حالا من قوم نوح ،فقد حدثنا سبحانه عن عاد وثمودَ وقوم تُبَّع وأصحاب الأيكة،كل كذب الرسل فحق وعيد،وكانت عقوبة جميعهم الاستئصال لأنه لم يكن فيهم خير يرجي من حياتهم ولا من ذرياتهم ،وهذا كما قال نوح عليه السلام :

«إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا»(2).

فاقتضت حكمة الله استئصالهم من جذورهم،لتتسع الأرض بعد ذلك لمن يأتي بعدهم من ذرية المؤمنين ، ثم بدأت البشرية تعبر مرحلة الطيش والمراهقة إلى فترة العقل والاتزان فكانت هذه المرحلة هي ما بعد إبراهيم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله، وفي هذه المرحلة من حياة البشر،كان يزداد عدد المستجيبين لدعوة الرسل،وكان يرجي ممن كذبوا أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله،لذلك فقد رفع عذاب الاستئصال،وبقي عذابهم بالقتل والأسر.

واستمر الحال على هذا حتى بلغت البشرية سن النضج والكمال العقلي في عهد رسولنا محمد صلى الله عليه وآله، وهذا يقابل في حياة الإنسان سن الأربعين .

1- نوح : 26، 27 .

2- نوح : 27 .

وإذا كان هـذا يساوي أربعة أخماس عمر البشـرية على ما سـبق تحقيقه،ويبقى الخمس على قيام الساعة ، تكون البشـرية قد قضت وهي في سن الخمسين من حياة الإنسان ، وهذا عمر قصير في مقاييسنا .

ومثل هذا لا يحدث إلا إذا كان الإنسان مسـرفا على نفسه بالمعصية والفجور وشرب الخمر فيحكم على نفسه بالإعدام البطيء ويموت وهو في سن الشباب أو ما يقاربه .

وهذا ينطبق على حال البشـرية على هذه الأرض فإنها إذا عمرت سـبعة آلاف سنة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فإنها تكون قد قضت فيما يقابل سن الخمسـين من حياة الإنسان،فإذا قلنا إن الإنسان إذا أسرف على نفسه بالمعاصي،قتل نفسه عن قريب فكذلك الشأن في تاريخ البشـرية،فإنه تاريخ أسود مظلم،مليء بالظلم والكفر والفسوق والعصيان،وحسبنا اليوم ما نرى من غلبة الكفرة الفجرة على العالم،وامتلاكهم لمقدراته وخيراته وسعيهم في الأرض فسادا ، حتى أنهم ليملكون من الأسلحة النووية ما يكفي لتدمير العالم أربع مرات.فهل يرجي من قوم هذا شأنهم أن يعمروا ؟

يقيني–والله أعلم–أن الله أرحم من أن يترك عباده في ه ذا الظلم والظلام،ولكنها ساعة النهاية قد دنت ووفاة البشرية قد أظلت وأشراط الساعة قد أطلت،وحساب العباد على رب العباد.

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

***

الفصل الثاني: أسرار الأشراط الكبرى

اشارة

تقدم بيان وجه الشبه بين الإنسان والعالم الصغير،وأن روح هذا العالم الصغير-أي الإنسان- نفخها الله فيه بعد ثلاثة أربعينات لبثها في بطن أمه كما في الحديث المتفق على صحته ،وأن هذه الروح ليست هي التي يحيا بها الإنسان حياته الحيوانية،بل هوحي كسائر الأحياء منذ كان نطفة ثم علقة،فإنه يتغذى وينمو،أما حياته بالروح المنفوخة فيه بعد ثلاثة أربعينات،فهي حياته كإنسان،استقرت فيه حقيقته الإنسانية التي أقل بها لمعرفة الله سبحانه والخلافة في الأرض، فكان الإنسان بها سيد الكون كله بإذن الله،وكان هذا الكون مسخرا للإنسان كذلك باذن الله.

غير أن الإنسان إذا طغى وتجبر،ونَسِيَ خالقه وأنه منه أكبر،وَفَسَقَ وفَجَرَ،ثم ولى مدبرا واستكبر ، إذا فعل الإنسان هذا،قصمه الله وقَطَّعه أفلاذا ،وهكذا شأن العالم إذا كثر فيه الفساد وعم فيه الهَرج وساد فإنه حينئذ يكون من الساعة قريب ، وإن فاجأته علاماتها فليس ذلك بعجيب.

وأول أشراط الساعة الكبرى محمد بن عبد الله المهدي،يصلح الله به حال الأمة ويهدي،وهذا رمز وإشارة إلى ما يطرأ على حال الإنسان في مرض موته ،فإنه تضعف فيه حينئذ حيوانيته وتعلو أنوار روحانيته ويتطلع إلى رحمة الله ويهتدي بهدى الله .

فهذا ما يقابل ظهور المهدي من أطوار الموت في الإنسان،وسركون المهدي من سلالة محمد صلى الله عليه وآله أن داعي الهداية في مرض الموت يكون من داخل الإنسان لا من خارجه ، ومحمد صلى الله عليه وآله منا ونحن من أمته،فناسب أن تكون أول أشراط الساعة كأول علامات الموت في الإنسان وذلك مرض الموت الذي

لا شـفاء له إلا بالموت ، وإذا تأملنا في حال العالم اليوم فلا يشك عاقل أنه يعاني مرضا بل أمراضا مميتـة قاتلـة وقـد أعجزت أمراضه الأطباء المعالجين ، ولا شـفاء له إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ثم يحاسـبهم ربهم على ما عملوا «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ،وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »(1) .

سر نزول عيسى عليه السلام

أما سـر نزول عيسـى عليه السـلام فإنه يرمز إلى صـحوة الموت التي تشاهد عند سائر من بلغوا سـكرات الموت الأولى ،ويلبثون كذلك وقتا قصـيرا،حتى يحسب ذووهم أنهم قد عرفوا،ثم سرعان ما تنتكس حالتهم،ويدخلون في مرحلة معاناة سكرات الموت المذهلة فينكشف لهم حينئذ الحق المبين ويعلمون أنهم ما كانوا مهتدين–وهذا إذا كان المتوفي من غير المؤمنين الصالحين–وإلا فإن كان صالحا يرى مقعده من الجنة فيهش له ويبتسم ويحب لقاء الله حينئذ.

وسـر نزول عيسـى عليـه السـلام دون غيره مـن الرسـل أنـه ولـد لاـ من أب وأم،ولكن من مريم وحـدها حين نفـخ روح القـدس في جيب درعها،فكان من ذلك عيسـى بإذن الله ،ولهذا كان من أسـماء عيسـى الخاصة به أنه (كلمة الله ، وروح الله)ولأنه روح الله كان من معجزاته إحيـاء الموتى بـإذن الله،وليس معنى ذلـك أن في عيسـى من الله شـيء،فسـبحانه وتعـالى عن ذلك علوا كبيرا،فإن الله منزه عن الحلول في المخلوقات ومنزه عن أن تحل فيه المخلوقات بل«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ،اللَّهُ الصَّمَدُ ،لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ ،وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ »

ومن اعتقد غير ذلك ونسب إلى عيسى شيئا لا يليق بالبشر ، فقد كفر

1- الزلزلة : 7، 8.

ياجماع الأمة ،ولا خلاف والحمد لله .

وأما وصفه عليه السلام بأنه روح منه،فإنها إضافة تشريف ، كما تقول هذا بيت الله والمراد تشريفه بنسبته إلى الله .

ومما يدل على أن عيسى عليه السلام مميز بخاصية الإحياء بإذن الله،ما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله :

(إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ) .

وفي رواية (يقطر رأسه كأنما خرج من ديماس) يعني من حمام .

وفي رواية (يقطر رأسه وإن لم يصبه بلل) .

كل ذلك يدل على أن في عيسى عليه السلام سر الإحياء بإذن الله فإن الماء الذي يقطرمن رأسه وإن لم يصبه بلل يشير إلى سر الحياة ، وهذا كما قال تعالى :

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلّ شَيْءٍ حَيٍّ»(1).

ويدل كذلك لما أشرت إليه من أن نزول عيسى عليه السلام رمز لصحوة الموت عند من أشرف على الموت،كونه لابسا عند نزوله ثوبين أصفرين كما جاء في الحديث الصحيح ، وهذا لصفرة الموت عند من يعاني سكراته ،وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سر الدجال

الدجال شر غائب ينتظر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وفتنته الكبرى التي هي من أشراط الساعة تقابل فتنة من يعاني سكرات الموت،حين يأتيه إبليس وهو على هذه الحال من الكَرب والضيق،فيدعوه إلى أن يموت يهوديا أو

1- الأنبياء : 30.

نصرانيا ، ويشككه في إسلامه .

وهذه هي فتنة الممات التي استعاذ منها رسول الله صلى الله عليه وآله وقَرَنهَا بفتنة المسيح

الدجال فقال :

(اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار ومن عذاب القبر،ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال) .

ففتنة إبليس لنا حين الموت تقابل فتنة الدجال للناس قُبَيلَ قيام الساعة التي هي موت العالم ونهاية الدنيا .

ونسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

سر طلوع الشمس من مغربها

وعالم الآخرة ، هو جهة الغروب بالنسبة لعالم الدنيا،فإذا بلغت الروح الحلقوم،واقترب خروجها إلى عالم الحق والحقيقة،أشرقت من ذلك العالم الآخر شمس الحقيقة ، وطلعت تباشير النور من جهة غروب الروح،فعند ذلك يُغلَقُ بابُ التوبة ولا يقبل عمل،وهذاكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله.« لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها،فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون،وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرا »أخرجه البخاري،وأخرج مسلم قريبا منه .

وبذلك يتبين بوضوح أن طلوع الشمس من مغربها يقابل بطريق الرمزوالإشارة طلوع شمس الحقيقة من العالم الآخر عند النزع الأخير ثم ليس إلا ـ الموت ، أما المؤمن فتُنتَزَعُ روحه نزعا رقيقا ليِّنا ، وأما الكافر فتنتزع روحه نزعا عنيفا وهذا ما يقابل ما جاء عن الريح الطيبة التي تنتزع أرواح المؤمنين نزعا هينا لينا.وتدع في الأرض كل فاجركفار يتهارجون فيها تهارج الحمر ،عليهم تقوم الساعة فتنتزع أرواحهم نزعا خشنا عنيفا .

ونسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

أما يأجوج ومأجوج فيكون خروجهم أول نزول عيسى عليه السلام وبعد قَتلِهِ الدجال ، وقبل أن تنعم الإنسانية بآخر أيامها الهنية الرخية في فترة حكم عيسى عليه السلام .

وَرَمَزنا لتلك الفترة البالغة في القصر«بصحوة الموت» التي تمر على كل مُحتَضَر يموت على فراشه كما هو مشاهد .

وعليه خروج يأجوج ومأجوج رمز وإشارة إلى هجوم عوامل الفناء المحقق في جسم الإنسان ولا ينفع في دفعها طب ولا دواء ، وهذا يقابل قوله صلى الله عليه وآله:

«وبينما هو كذلك إذ أوحى الله عزوجل إلى عيسى ابن مريم:(إني قد أخرجت عبادا لي،لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور) ويبعث الله يأجوج ومأجوج،وهم من كل حدب ينسلون »(رواه مسلم ومض برقم (73)).

فهؤلاء الذين لا طاقة لأحد بقتالهم حتى عيسى عليه السلام وأصحابه،يقابلون في المثال والرمزية عوامل الفناء في الإنسان حين تدنو ساعة الموت ، أما دعاء عيسى عليهم وإهلاك الله لهم حتى ينعم الناس بعد ذلك نعمة لم يعهدوها من قبل فذلك إشارة إلى صحوة الموت التي تحدثت عنها في أسرار نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

سر الدابة

أما الدابة فإنها تخرج بعد أن يكون أمرالناس قد تقرر بطلوع الشمس من المغرب،ولا ينفع نفسا حينئذ إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا،وهذا إشارة واضحة إلى إغلاق باب التوبة على المحتضر ، إذا

أشـرقت عليه شـمس الحقيقة من عالم الآخرة ،وهو يمثل جهة الغرب بالنسـبة العالم الدنيا ، فهناك تغرب الأرواح لتشـرق في عالم البرزخ حيث تحيا حياة حقيقية ، إما منعمة وإما معذبة ، وعبر الشَّرعُ عن ذلك بعذاب القبر أو نعيه ، ونسأل الله العافية .

فإذا بلغ الإنسان تلك المرحلة من انكشاف الحقيقة وأغلق عليه باب التوبة خرجت دابة الأرض تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يرقنون فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر،فيجلس الناس على الخوان الواحد يعرف كل صاحبه أمؤمن هو أم كافر .

ويقابل هذا الذي ذكرت من شأن الدابة ما يراه المحتضر من بشرى الملائكة له إن كان من أهل الجنة،أو تعنيفهم له وإنذاره بمقعده من النار إن كان من أهل النار،وهذا كما قال تعالى :

«وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ»(1).

وقال تعالى :«وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ»(2)

أما في حق المؤمنين فيقول سبحانه وتعالى :«الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»(3).

فهذا ما تشير إليه آية الدابة من أسرار الموت ونهاية الدنيا لتبدأ مراحل

1- الأنعام : 93 .

2- الأنفال : 50.

3- النحل : 32 .

الحياة الأبدية الخالدة ، ونسأل الله أن يجعلنا من الذين أنعم عليهم فهداهم إلى صراطه المستقيم بمنه وكرمه آمين .

أما النار التي تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فلعلها تقابل ما يحس به المحتضر من نار الألم حين تنزع روحه وتحشر من عالمها الشرقي عالم الدنيا الذي أشرقت فيه إلى عالمها الغربي عالم الآخرة حيث تغرب هناك بالنسبة لنا وتشرق بالنسبة لذلك العالم .

وبعد :

فهذا ما فتح الله به علي من علم أشراط الساعة وأسرارها.وأسأل الله أن يجعله عملا مقبولا نافعا خالصا لوجهه الكريم،وأن يغفر لي ما زل به القدم،وطغى به القلم وحسبي الله ونعم الوكيل .والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

تم بحمد الله في مساء الخميس السادس من شهر شعبان سنة ألف وأربعمائة من الهجرة الموافق 19 /6/ 1980 .

محمد سلامة جبر

كويت – السالمية

ص ب : 8102 رمز بريدي 22052

ت / 5737710

ص: 139

للمؤلف

(1) أشراط الساعة وأسرارها .

(2) أحوال الآخرة وأهوالها .

(3) أحكام النقود في الشريعة الإسلامية .

(4) شرح رسالة النقود لابن عابدين .

(5) الإنسان بين الجبر والاختيار .

(6) القضاء والقدر .

(7) المذهب الحق في القضاء والقدر .

(8) إلام ندعو .. وكيف ؟.

(9) الإخوان المسلمين دعاة حق لا طلاب حكم.

(10) حقيقة الإنسان .

(11) الشورى .

(12) خصائص الأنوثة .

(13) حكم التأمين في الشريعة الإسلامية .

(14) ماذا بعد الحرب الثالثة ؟ (مسرحيات إسلامية قصيرة) .

(15) حب وفلسفة (مأساة قلبين) .

(16) لوعة الحرمان ، وحلاوة الإيمان (قصة).

(17) فتاوى وبحوث شرعية (1)[نكاح المتعة – الزواج العرفي – العادة السرية].

(18) فتاوى وبحوث شرعية (2) [سماع الغناء – مصافحة الأجنبية].

(19) هل هن ناقصات عقل ودين .

(20) لا يرد القضاء إلا الدعاء .

(21) فتاوى وبحوث شرعية (3):(22) فتاوى وبحوث شرعية (4) .

ص: 140

فهرس الموضوعات

الموضوع

الإهداء...3

مقدمة الطبعة الأولى...4

مقدمة الطبعة الثانية...7

الباب الأول

الفصل الأول :

ما جاء في قرب قيام الساعة...9

الفصل الثاني :

ذكر ما جاء في قرب قيام الساعة...13

الباب الثاني

أشراط الساعة الكبرى...20

الفصل الأول :

ما جاء في ظهور المهدي...21

الفصل الثاني :

ما جاء في الدجال...25

الفصل الثالث :

هل الدجال حي ... ؟...35

ما جاء في « ابن صياد »،وهل هو الدجال ؟...39

صفة والدي الدجال...45

رأي الخطابي ...46

رأى القرطبى...48

رأي البيهقي...49

رأي النووي...52

رأي ابن بطال...53

رأي ابن حجر...56

رأي الشوكاني...58

أبو نعيم الأصبهاني...59

نعيم بن حماد...60

الفصل الرابع :

نزول عيسى عليه السلام...67

ما جاء في نزول عيسى عليه السلام...69

صفة عيسى عليه السلام...77

دته ومكان دفنه عليه السلام...79

الفصل الخامس :

خروج يأجوج ومأجوج...81

من ذو القرنين ؟ ويأجوج ومأجوج ؟...85

هل فتح السد ؟ وهل خرج يأجوج ومأجوج...89

رأي الأستاذ/ سيد قطب (رحمه الله)...90

الفصل السادس :

طلوع الشمس من المغرب...93

الفصل السابع :

الدابة...97

ص: 142

الفصل الثامن :

الريح الطيبة...101

الفصل التاسع :

آية النار-وتقارب الزمان...104

الباب الثالث

قرب قيام الساعة...111

متى الساعة...112

ما المراد بعمر الدنيا ؟...117

الباب الرابع

من أسرار أشراط الساعة...125

الفصل الأول :

الإنسان عالم صغير...129

الفصل الثاني :

أسرار الأشراط الكبرى...133

سر نزول عيسى عليه السلام...134

سر طلوع الشمس من مغربها...136

سرالدابة...137

ص: 143

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹